معالم حلي وفي (٣٠)

الأمن النفسي

د. محمد موسى الشريف

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحُفُوطَةٌ الطّبِعَة الثانية ١٤٢٤ه - ٢٠٠٣م

دارالإندلس الخنراء

المملكة العربية السعودية - جدة

الإدارة: ص.ب: ٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف: ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات: ♦ حي السلامة – خلف مسجد الشعيبي هاتف – فاكس: ٦٨٢٥٢٠٩

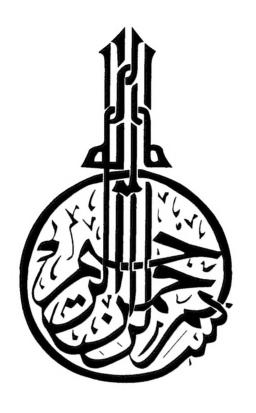
حي الثغر - شارع باخشب - هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ١٨٥٠٧٨

♦ مكتب الرياض : هاتف / فاكس : ٢٤٣٤٩٣٠

الموقع:www.alandalos.com - البريد الإلكتروني: www.alandalos.com



الأمن النفسي



قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوۤاْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَتِيكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

مقدّدكة

الحمد الله رب العالمين، سامع النجوى، كاشف البلوى، منحسى الغرقى، منقذ الهلكى، مجيب دعوة المضطرين، مغيث الملهوفين، أمان الخاتفين، فارج كرب المكروبين، كافي المتوكلين، مثبت المؤمنين، هازم أحزاب الكافرين، مدمر الظالمين، مفرق جمعهم، مشتت جهدهم، مبعشر عزمهم، مُخذّلٌ بينهم، مزيلٌ مكرهم، مُقوضٌ تدبيرَهم، فرأيهم فيه الفساد، وسوق ظلمهم إلى كساد، وعاقبة أمرهم ألهم مخذولون، وحاصل كيدهم ألهم مُفنّدون.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الكبير المتعال، ذي الطول شديد المحال، قهره شديد، وأخذه أكيد، فعال لما يريد.

وأشهد أن نبينا وعظيمنا محمداً رسولُ الله، حاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ودمر عروش الكافرين الظالمين، والمتكرين المشركين، فصلِّ اللهم عليه، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الأحداث المحيطة بالأمة أحداث عظيمة، والمتربصين بما كُنُسر، والتهديدات التي تتهددها متنوعة من كل حَدَب وصوب، وهذا كله أمسر يدعو للقلق والخوف، واليأس والإحباط، والوسوسة والتوهم، لكن الله تبارك

وتعالى لم يكن ليترك عبيده المؤمنين يتخبطون في هذه الظلمات بل إنـــه عَمَالِيْة يثبتهم ويربط على قلوبهم، ويطمئنهم، ويذهب عنهم الخــوف والوحــل، والقلق واليأس، ويفتح أمامهم أبواب الأمل على مصراعيها، ولا يكلمهم لوساوس الشيطان ومهاوي الخوف، وهذه نعمة من الله جليلة، وعناية منه عَمَالِيْ عظيمة، وهناك – أيضاً – جملة وافرة مما ورد عن رسولنا الأعظم ﷺ مــن المبشرات والمثبتات لنا معشر المؤمنين متفرقة في بطون كتب السنة المطهرة والسيرة المشرفة، فعمدت إلى كل ذلك فجمعته - مما استطعته- وقسمته إلى عدة أقسام، ومزجت ذلك كله بأحوال السلف الصالحين، والأولياء العاملين، وخرجت من كل ذلك بنتيجة مهمة وبشرى عظيمة ألا وهي أننا نحن حزب الله المنصورون، وحند الله الغالبون، وأن العاقبة لنا ولو بعد حين، إن شاء الله تعالى رب العالمين، وأن كل مخططات الكفر زائلة بائدة، وأنهـــم لن يستطيعوا منع الشمس من الظهور، ولا نور الله تعالى من الانتشار، وأن الله تعالى بالغ أمره، ومظهر دينه، ولو كره الكافرون المشركون وهذا كلـــه بحول الله وقوته.

هذا وقد ذكرت في هذه الرسالة ثمانية أركان تحقق الأمن النفسي، وترسخ الثقة بنصر الله تعالى، وهي على الترتيب:

١- الإيمان العميق.

٢- التوكل على الله تعالى.

- ٣- الدعاء.
- ٤ الذكر.
- ٥- معرفة شأن القضاء والقدر.
- ٦- معرفة شأن البلاء والامتحان.
 - ٧- الصير.
- ٨- الاطلاع على المبشرات المثبتات.

ولم أذكر من هذه الأركان الثمانية إلا ما كان منها معواناً لتحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القلبي؛ ذلك لأن كلاً منها يستحق أن يفرد برسالة، والتطويل فيه ليس من أغراضي في هذه العجالة، لكسن حسبي أن أذكر من كل ركن منها ما يتعلق بالموضوع، وأكتفي من الســرد الطويـــل بالكلام المفيد القليل؛ لأن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضاً، ولقد أردت فيما أردت أن أجعل ما في هذه الرسالة منهجاً عملياً يُفزع إليه حال الشــدائد، ويتمسك به حال وقوع المصائب، أو توقع المحذور، مما مضمى في القدر المقدور، وخُطّ في الكتاب المسطور، واقتضته حكمة الباري، ونفذ به أمــره الساري، عَلَيْهُ، لا راد لأمره، ولا معارض لحكمه، وحسبنا في كــل ذلــك التسليم، والرضى بأمر الحكيم العليم، والعمل على رد قضاء الله تعالى بقضاء الله المتين، وأن نكون جنداً له طائعين، عاملين مثابرين، لا يصيبنا كلـــل ولا ملل إلى الممات، ولا يداخلنا هم أو فزع يفضي إلى الموات.

هذا والله تعالى المسؤول أن يسكب في قلوبنا برد اليقين، وأن يجعلنا من عباده العاملين، الذين هم جنده المنصورون، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وصل اللهم وسلم على صفوتك من خلقك، وخيرتك من بَريَّتك، عبدك المطمئن الواثق، ونبيك المجاهد محطم العوائق، ورسولك صاحب العزم الفائق سيدنا محمد المختار، وآله الأطهار، وأصحابه الأبرار، ومسن تسبعهم بإحسان من السلف الصالحين، والخلف العاملين المتابعين، إلى يوم السدين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمد موسى الشريف

الأمن النفسي وأهميته

المراد بالأمن النفسي:

مرادي بالأمن النفسيّ هو أن تكون النفوس آمنة مطمئنة عند وقوع البلاء أو توقعه، بحيث لا يظهر عليها قلق معيب أو حزع كثير، ولا اضطراب في الأحوال، أو ترك للأعمال، أو التهويل من شان المصائب، أو التعظيم لمحططات الأعداء تعظيماً يفضي إلى اليأس والهوان، والإحباط والانزواء.

ومرادي منه أيضاً أن يكون العبد موصولاً بمولاه على وجه حسن، جميلَ التوكل، كثير الالتجاء والتبتل، عظيم الخضوع، طويـــل الخشــوع، يحسن الذكر، ويُعمل الفكر، ويديم العمل الصالح، ولا يحصل كـــل ذلـــك إلا إن كانت النفوس آمنة مطمئنة، في حررز حريز عن وســـاوس إبلــيس، ومرض التيئيس.

أهمية الأمن النفسي

والناظر للأمراض النفسية السارية في الحياة المعاصرة يعلم أهمية تحقيق هذا الأمر في واقع الحياة، فالقلق يستبد بالناس، والخوف من مجهول قادم يكاد يعصف بهم، هذا عدا عن الآثار المدمرة التي تحدد من أصبح وأمسى مكتئباً محبطاً، خائفاً، غير راضٍ بحاله، ولا سعيد بأيامه.

ولقد أصبح تحقيق الأمن النفسي في المجتمعات مطلباً لكل الدول والحكومات، ولكثير من مراكز الدراسات والأبحاث، وتعقد له مسؤتمرات، وتصرف في سبيل تحقيقه أموال طائلة وجهود هائلة، هذا ولم يزدهم كسل ذلك إلا خَوراً في النفوس، وقلقلاً واضطراباً، وجزعاً وأي جزع، ذلك ألهم لم يستمدوا في عملهم ذلك المنهج الإلهي ولا المعونة الربانية، إنما فزعوا إلى جهد البشر فوكلهم الله تعالى إلى أنفسهم وصاروا يتعلقون لكن بسراب، ويطمحون للوصول لكن إلى خيال وخبال.

والعجيب أنه حتى في أرقى دول الأرض اليوم حضارةً مادية مازال القوم قاصرين عن تحقيق الأمن النفسي والاطمئنان القليبي، فقسد كشرت حوادث الانتحار كثرة لافتة للأنظار، وفتحت الآلاف من العيادات النفسية يؤمها عشرات الملايين من أبناء الحضارة المعاصرة التي لم تفسدهم شيئاً في تحقيق مقصود الناس الأعظم: الطمأنينة في النفوس والسعادة في القلوب، هذا أمر معلوم من حالهم ومعروف من شأهم، وكل ما يظهر عليهم من سعادة وطمأنينة إنما هو زينة خارجية تغلف تعاسة داخلية، والقوم يعرفون ذلك من أنفسهم، ويدركونه تمام الإدراك.

هذا والعجيب أن كثيراً من الشعوب الإسلامية تبعتهم في مسلكهم المرذول، لابتعادهم عن كتاب الله تعالى وسنة الرسول على، فكادوا يصبحون مثلهم ويسيرون سيرهم، وكثرت في أمتنا الحوادث الغريبة والنفوس المريضة، وهذا جزاء من أعرض عن منهج الله تعالى وذهب يلتمس الهدى في غيره.

وما أجمل قول الله تعالى وما أحسنه حين قال سبحانه:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَيِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ هِ (١).

وقال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَكُم بِشَىٰءٍ مِّنَ ٱلْحُوفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأُمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلنَّمْرَاتِ وَلَا الله تعالى: ﴿ بِشَىٰءٍ مِّنَ ٱلْخُوفِ ﴾ فَكيف لو بلانا بالخوف كله، نعوذ بالله من ذلك.

وأظن – والله تعالى أعلم – أن أهمية الأمن النفسي للإنسان يتمثل في الجوانب التالية:

١- الثبات:

فمن كان مشوشاً مضطرباً خائفاً فإن الثبات بعيد المنال عنه، والعامل لا يستطيع العمل بغير ثبات واستقرار نفسيّ وإلا فإن عمله ونتاجه يكونان من الضعف بمكان، وقد يؤدي عدم الثبات إلى ترك الدعوة إلى الله والعمل للإسلام بالكلية، والعياذ بالله.

⁽١) سورة النحل: آية (١١٢).

⁽٢) سورة البقرة: آية (١٥٥).

٢- البعد عن مرضي اليأس والإحباط:

وهما مدمران للإنسان، ذاهبان بجَلَده وقوته، نافيان لعزمه، ومتى تسربا إلى النفس حطما فيها كل تطلع للمعالي أو تفكير في جميل الأماني، وقعدا بالمرء قعوداً لا يأمل بعده بالعود إلا أن يشاء الله - تعالى - والأمن النفسيّ كفيل بأن يبتعد بالمرء عن هذين المرضين الخطيرين.

٣- اكتمال الشخصية الإسلامية:

وهذا أمر مهم، والداعية صاحب الأمن النفسي تجده مكتمل الشخصية الإسلامية أو قريباً من الاكتمال، فهو بشوش، واسع الصدر، مطمئن، ليس بمضطرب ولا قلق، عظيم الأمل، كثير التفاؤل، يشيع الأمن والاطمئنان حوله، جميل التوكل، حسن العبادة، دائم العمل في خدمة دينه وأمته، راض، سعيد إلح ...

٤- الثقة الكاملة بمعية الله ونصره:

وهذا بعض لوازم بعض ما ذكرته آنفاً لكن لأهميته المطلقة ذكرته منفرداً، وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى(١).

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

⁽١) انظر المقوم النامن من مقومات الأمن النفسيّ.

مقومات الأمن النفسي

أولاً: الإيمان العميق:

الإيمان العميق بالله تبارك وتعالى، ومعيته لعبيده المؤمنين، وتثبيته لهم في الشدائد، وإعانته إياهم في النوائب يكسب المؤمنين أماناً واطمئناناً عجيبين، إذ شعورهم بألهم موصولون بالقوة العظمى في الكون شمعور رائم يملل جوانحهم بالرضى والتسليم والطمأنينة.

ألم تر إلى بني إسرائيل لما لحقهم فرعون وحنوده، وضافت بهم الأرض، وظنوا ألهم مأخوذون لا محالة، ألم تر إلى الطمأنينة العجيبة التي كانت مستولية على موسى عليه الصلاة والسلام، والثبات الكبير الذي أبداه:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿ قَالَ كَالَّ الْمُدْرَكُونَ ﴿ قَالَ كَلَّ اللَّهِ فَلَمْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُ اللْمُلْمُ الللللْمُ اللْمُلْمُ الللْمُ الللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْ

⁽١) سورة الشعراء: آية (٢١-٢٦).

ويبقى قول موسى عليه الصلاة والسلام فيما قصه الله تعالى علينا: ﴿ إِنَّ مَعِى رَبِّ سَيَهِ لِمِينٍ ﴾ علامة على الإيمان العميق بالله تعالى، ودلالـــة علــــى الطمأنينة والأمن النفسي الذين إن تحققا للعبد فاز وسعد.

وكذلك نبينا الأعظم على كان يعيش في أمن نفسسي عجيب، فقد أحاطت به شدائد ومصائب عظيمة كان يواجهها بأبي هو وأمي على بسبرد اليقين، والأمثلة كثيرة لكن حسبي أن أورد منها مثالاً واحداً معبراً وهو ما حرى له على يوم الخندق، وهو يوم عصيب، وصفه الله تعالى في كتابه بأعظم وصف وأشده هولاً، فقد فقال حل من قائل:

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا آذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُرْ إِذْ جَآءَتُكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْمِ رِجَّا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْمِ مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاعَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ إِذْ جَآءُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاعَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنُونَ اللَّهُ الطُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِي ٱلْمُؤْمِنُونَ وَرُلْزُلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ (١٠).

أرأيت إلى قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ اللهُ عَالى: ﴿ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ فهو يصور شدة

⁽١) سورة الأحزاب: (٩-١١).

المعركة وهولها وعظم تأثيرها على المؤمنين فكيف كان رسولنا الأعظم على المؤمنين فكيف كان رسولنا الأعظم على وكيف كان الأطهار صحابة رسول الله على ورضي عنهم؟ قال الأستاذ سيد قطب، رحمة الله تعالى:

« خرج رسول الله على يعمل في الحندق مع المسلمين. يضرب بالفأس، ويجرف التراب بالمستحاة، ويحمل التراب في المكتل، ويرفع صوته مع المرتجزين، وهم يرفعون أصواقم بالرَجَز في أثناء العمل، فيشاركهم الترجيع! وقد كانوا يتغنون بأغان ساذجة من وحي الحوادث الجارية: كان هناك رحل من المسلمين اسمه جعيل، فكره رسول الله على اسمه، وسماه عمراً، فراح العاملون في الخندق يغنون جماعة بهذا الرجز الساذج:

سماه من بعد جعيل عمراً وكان للبائس يوماً ظهراً

فإذا مروا في ترجيعهم بكلمة "عمرو"، قال رسول الله ﷺ: "عمـــراً"، وإذا مروا بكلمة "ظهراً".

ولنا أن نتصور هذا الجو الذي يعمل فيه المسلمون، والرسول على بينهم، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل في المكتل، ويرجع معهم هذا المغناء. ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم؛ وأي ينبوع يتفجر في كياهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز.

وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب. فقال على أما إنه نعم الغلام! وغلبته عيناه فنام في الخندق. وكان القرر الشرائ شديداً. فأحذ عمارة بن حرم سلاحه، وهو لا يشعر، فلما قام فزع. فقال رسول الله على « يا أبا رُقاد! نمت حتى ذهب سلاحك"! ثم قال: "من له علم بسلاح هذا الغلام "؟ فقال عمارة: يا رسول الله هو عندي. فقال: فرده عليه. وهي أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعباً!

وهو حادث كذلك يصور يقظة العين والقلب، لكل من في الصف، صغيراً أو كبيراً. كما يصور روح الدعاية الحلوة الحانية الكريمة: « يا أبارقاد! نمت حتى ذهب سلاحك! » ويصور في النهاية ذلك الجو الذي كان المسلمون يعيشون فيه في كنف نبيهم، في أحرج الظروف.

ثم كانت روحه على تستشرف النصر من بعيد، وتراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول؛ فيحدث بها المسلمين، ويبث فيهم الثقة واليقين.

قال ابن إسحاق: وحُدثت عن سلمان الفارسيّ أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت عليّ صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني. فلما رآني أضرب، ورأى شدة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة. قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال:

⁽١) أي البرد

قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت، لمع المعول وأنــت تضرب؟ قال: « أو قد رأيت ذلك يا سلمان »؟ قال: قلت نعم. قال: « أما الأولى فإن الله فتح علي بما اليمن. وأما الثانية فإن الله فتح علي بما الشام والمغرب. وأما الثالثة فإن الله فتح علي بما المشرق »(١).

أما أخبار شجاعته ﷺ في الهول، وثباته ويقينه، فهي بارزة في القصة كلها، ولا حاجة بنا إلى نقلها، فهي مستفيضة معروفة.

وصدق الله العظيم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً لِمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْاَحِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢).

ثم تأتي صورة الإيمان الواثق المطمئن؛ وصورة المؤمنين المشرقة الوضيئة، في مواجهة الهول، وفي لقاء الحنطر. الخطر الذي يزلزل القلوب المؤمنة، فتتخذ من هذا الزلزال مادة للطمأنينة والثقة والاستبشار واليقين: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْرَابَ قَالُواْ هَنذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٣).

لقد كان الهول الذي واجهه المسلمون في الحادث من الضحامة؛ وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة؛ وكان الفزع الذي لقوه من العنف، بحيث

⁽١) هناك سياق آخر لهذه الحادثة أخرجه الأمام أحمد عن البراء بن عازب تظیه، انظر "الفتح الرباني": ٧٨/٢١.

⁽٢) سورة الأحزاب: آية (٢١).

⁽٣) سورة الأحزاب: آية (٢٢).

زلزلهم زلزالاً شديداً، كما قال عنهم أصدق القائلين: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ اللَّهُ وَلِهُ اللَّهُ اللّلَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّا اللَّا اللّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

لقد كانوا ناساً من البشر، وللبشر طاقة، لا يكلفهم الله ما فوقها. وعلى الرغم من ثقتهم بنصر الله في النهاية؛ وبشارة الرسول على لهم، تلك البشارة التي تتجاوز الموقف كله إلى فتوح اليمن والشام والمغرب والمشرق، على الرغم من هذا كله، فإن الهول الذي كان حاضراً يواجههم كان على الرغم ويزعجهم ويكرب أنفاسهم.

ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة. والرسول على يحس حالة أصحابه، ويرى نفوسهم من داخلها، فيقول: « هن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله على الرجعة أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة » ومع هذا الشرط بالرجعة، ومع الدعاء المضمون بالرفقة مع رسول الله في الجنة، فإن أحداً لا يلبي النداء. فإذا عين بالاسمحذيفة قال: فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني! ألا إن هذا لا يقع إلا في أقصى درجات الزلزلة.

ولكن كان إلى جانب الزلزلة، وزوغان الأبصار، وكرب الأنفاس كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله؛ والإدراك الذي لا يضل عن سنن الله؛ والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن؛ وتحقق أواحرها متى

⁽١) سورة الأحزاب: آية (١١).

تحققت أوائلها. ومن ثم اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة سبباً في انتظار النصر. ذلك أهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل: ﴿ أُمْ حَسِبْتُمْ أَن اللهُ تَدْخُلُواْ ٱلْجَنّة وَلَمّا يَأْتِكُم مَّثُلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّمَّلُ ٱلَّذِينَ خَلُواْ مِن قَبْلِكُم مَّمَّلُ ٱللَّهِ أَلَا اللَّهُ وَالطّرّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتّىٰ يَقُولَ ٱلرّسُولُ وَٱلّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرُ ٱللَّهِ أَلا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ مَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَسَولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَسَولُهُ وَصَدَق ٱللّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾.

﴿ هَنذَا مَا وَعَدَنَا آللَهُ وَرَسُولُهُ ﴿ ﴾ : هذا الهول، وهذا الكرب، وهـذه الزلزلة، وهذا الضيق وعدنا عليه النصر، فلابد أن يجيء النصر: ﴿ وَصَدَقَ آللَهُ وَرَسُولُهُ وَ ﴾ ، صدق الله ورسوله في الأمارة وصـدق الله ورسوله في دلالتها، ومن ثم اطمأنت قلوهم لنصـر الله ووعـد الله: ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلّا إِيمَناً وَتَسْلِيمًا ﴾ .

لقد كانوا ناساً من البشر، لا يملكون أن يتخلصوا من مشاعر البشر، وضعف البشر وليس مطلوباً منهم أن يتجاوزوا حدود جنسهم البشري؛ ولا أن يخرجوا من إطار هذا الجنس؛ ويفقدوا خصائصه ومميزاته، فلهذا

⁽١) سورة البقرة: آية (٢١٤).

خلقهم الله، خلقهم ليبقوا بشراً، ولا يتحولوا جنساً آخر، لا ملائكة ولا شياطين، ولا بهيمة ولا حجراً، كانوا ناساً من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدة، ويزلزلون للخطر الذي يتحاوز الطاقة، ولكنهم كانوا – مع هذا – مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله، وتمنعهم من السقوط، وتحدد فيهم الأمل، وتحرسهم من القنوط، وكانوا بهذا وذاك نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية لم يُعرف له نظير.

وعلينا أن ندرك هذا لندرك ذلك النموذج الفريد في تاريخ العصور، علينا أن ندرك ألهم كانوا بشراً، لم يتخلوا عن طريقة البشر، بما فيها من قوة وضعف. وأن منشأ امتيازهم ألهم بلغوا في بشريتهم هذه أعلى قمة مهيأة لبني الإنسان، في الاحتفاظ بخصائص البشر في الأرض مع الاستمساك بعروة السماء.

وحين نرانا ضعفنا مرة، أو زُلزلنا مرة، أو فرعنا مرة، أو ضقنا مسرة بالهول والخطر والشدة والضيق فعلينا ألا نيأس من أنفسنا، وألا لهلع ونحسب أننا هلكنا، أو أننا لم نعد نصلح لشيء عظيم أبداً! ولكن علينا في الوقت ذاته ألا نقف إلى حوار ضعفنا لأنه من فطرتنا البشرية! ونصر عليه لأنه يقع لمن هم خير منا! هنالك العروة الوثقى: عروة السماء، وعلينا أن نستمسك لمن هم من الكبوة، ونسترد الثقة والطمأنينة، ونتخذ من الزلزال بشيراً بالنصر، فنثبت ونستقر، ونقوى ونطمئن، ونسير في الطريق.

وهذا هو التوازن الذي صاغ ذلك النموذج الفريد في صدر الإسسلام، النموذج الذي يذكر عنه القرآن الكريم مواقفه الماضية وحسن بلائه وحهاده، وتباته على عهده مع الله، فمنهم من لقيه، ومنهم من ينتظر أن يلقاه:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَلَهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ خَبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ (١) هذا في مقابل ذلك النموذج الكريه: نموذج الذين عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، ثم لم يوفوا بعهد الله: ﴿ وكان عهد الله مسؤولاً ﴾ (٢)

وكلما عظم الإيمان في النفوس وانتفى عنها الشرك كان ذلك أدعى لتحقيق الأمن النفسي، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَنتَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَتَبِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٣).

والظلم المقصود هنا هو الشرك، فمن برئ من الشرك قليلم وكمشيره تحقق له الأمن المنشود، والصفاء المطلوب.

وصاحب الإيمان العميق الصادق، والعواطف الإسلامية الدافقة يكون أهلاً إن شاء الله تعالى للنصر ومُحَلاً له، وتكون نفسه آمنة مطمئنة، كيف

⁽١) سورة الأحزاب: آية (٢٣).

⁽٢) "في ظلال القرآن" ٥/٢٨٤٢ – ٢٨٤٤.

⁽٣) سورة الأنعام: آية (٨٢).

لا وهو قد أوى إلى ركن شديد، لكن المصيبة كل المصيبة إذا ضعف الإيمان وحَلّ الجفاف واليبس في نفس المرء، هنا تستبد به الوساوس ويعصف به القلق، ويصبح بمعزل تام عن الأمن النفسي المطلوب، يقول الأستاذ الراشد مبيناً تقصير الدعاة وطلبة العلم في هذه المسألة المهمة: مسألة ارتباط النصر وثبات النفس واستبشارها بعظم الإيمان وتدفق العواطف ووهج المحبة، يقول:

« كأن النصر حجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا النصر بإدلال، نبيعه ونثبت لنا حقاً عاجلاً في الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همساً في الأسحار، ولا الدمع المدرار، إنما النصر هبة محضة يقر الله بها عين من شاء من رجال مدرسة الليل في الحياة الدنيا...

قال ابن القيم (١):

يحيون ليلهم بطاعة رهمم بتلاوة وتضرع وسؤال

وعيونهم تحري بفيض دموعهم

منل الهمار الوابل الهطال

⁽١) الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرَعيّ الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي. ولد سنة ٦٩١. كان حريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف. وكسان كشير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد. توفي سنة ٧٥١ بدمشق، وكانت حنازته حافلة رحمه الله تعالى. انظر (الدرر الكامنة): ٢٣٢١/٤.

في الليل رهبان وعند جهادهم لعدوهم من أشجع الأبطال بوجوههم أثر السجود لربهم وها أشعة نوره المتللي(١)

وليس كمثل العاطفة سلاح فعال يتسلح به العبد لمواجهة الهجمة الشرسة التي تحيط به من كل الجوانب، وهذا أحد الدعاة يتحدث عن أهمية العاطفة الإيمانية وأثرها في النفس وألها سلاح فتاك لا يملك الأعداء أمامه إلا الخضوع والرضوخ فيقول عن هذه الأسلحة:

(أسلحة فعالة لا يملك العدو لها ضداً نوعياً يبطل مفعولها، لذلك يقف – رغم كل ما يملكه من سلاح وأسباب تدمير – مذهولاً عاجزاً عن مواجهة من يمتلك سلاح الإيمان بالله والثقة بنصره، والإصرار على مواصلة دربه والتوسل إلى الله والتذلل بين يديه والتضرع له في الخلوات، المفضي بانفجار المآقي بدموع الشوق والرغبة إليه ومناجاته في جوف الليل استدراراً لرحمته، واستمطاراً لمُزن رضاه (٢)، فقد تحف الأرواح في ميادين الصراع وسُوح (٢) الجدل الفكري والسياسي والمساجلات الإعلامية فينسى المؤمن ما لديه من أسلحة النصر، وقد يغفل أن الدعاء سلاحه ووسيلته مسع واهب

⁽١) " الرقائق ": ٣٣، ٣٥.

⁽٢) أي سحب رضاه، وهو تعبير محازي.

⁽٣) أي ساحات.

الوجود، وأن دموع السر تطفئ غضب الرب، وتلطف شغاف القلب، وأن التلقين الواعي للنفس بحب الله والقرب منه والتزلف إليه محطات للتزود بالوقود الروحيّ لدفع "ماكينة" العمل الإسلامي إلى الأمام بخطوات متسارعة تتلاشى معها الألقاب، وتتضاءل لديها الصعاب... ومن لا يحصــن نفســـه بالخشوع، ويسقى أشجار محبة الله بالدموع فلــيس أمامـــه إلى النكـــوص والرجوع، والجفاف والركوع أمام أصنام الذات وأوثان الحياة، وتلك هـــى الطامة الكبرى التي ما فوقها طامة، والكبوة المهلكة التي لا تنفع معها طقوس عبادة جامدة، ولا شكليات صلاة هامدة لا حياة فيها ولا حركة ولا روح... ذلك أن الجفاف الروحيّ، والجدب المعنويّ، واليُــبس العـــاطفيّ لأفقدته أهم قوى الجذب والمغناطيسية والاستقطاب في أمــة تطالــب الإسلاميين أن يشيعوا في أوساطها الصفاء والنقـاء، والتوكـــل والتعبـــد و الدعاء...)(١)

⁽١) من مقال "وعي البعد الغيبي ودوره في حباة العـــاملين" بجلـــة المجتمـــع: عـــدد ١٣٧٩ رمضان سنة ١٤٢٠.

ثانياً

التوكل على الله

وهو بحر عميق، لا يصلح إلا أن ينفرد برسالة، لكن ليس مرادي — كما أوضحت في المقدمة — أن آتي عليه تعريفاً وتقسيماً وإحاطة بجوانبه لكن مرادي أن أذكر حوانب منه تتعلق بالأمن النفسي وترتبط به ارتباطاً وثيقاً.

أما التوكل فهو طريقة المؤمنين، وطريق الصالحين، وهو صلة عظمي بالله تبارك وتعالى رب العالمين، لا غنى لعبد عنه إن أراد تحقيق أمن نفسيه والابتعاد عن كل ما يشوش فكره. ودين الإسلام يتميز عن كل الأديان والمذاهب بهذه العبادة الرائعة والخصلة العظيمة التي لا يعرفها من الناس أحد اليوم إلا المسلمون.

لكننا نرى اليوم جماعات كثيرة من المسلمين – بل أكثر المسلمين على الحقيقة – نسوا هذا المعنى الرائع والعبادة الجليلة، وحل محلها التكالب الغريب على الدنيا والإخلاد إليها، وأصبح أكثر المسلمين متخوفين مسن المستقبل، سريعي التأثر بما يجري عليهم من أقدار البلاء، شديدي الفرح بما يأتيهم من أقدار الرحاء.

وقد أخطأ في فهم هذه العبادة القلبية العظيمة جماعات من العباد والزهاد وأكثر العامة حيث ذهبوا في هذه المسألة المهمة إلى طرفي النقسيض:

الإفراط في الاعتماد على الأسباب، والتفريط فيها، وأخطأوا التوسط الذي هو سمة هذه الأمة المباركة، والذي هو الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى في تحقيق المطلوب.

والتوكل مهم حداً في باب الأمن النفسيّ؛ لأن العبد إذا قدم كل ما يستطيع، وبذل ما يقدر أن يبذله من أسباب فإنه لا يبقى له إلا أن يفزع إلى مولاه، ويلقي بنفسه بين يديه، ويطمئن إليه، ويثق تمام الوثوق بأن الله تعالى حافظه ومانعه من أعدائه، وما أحسن ما قيل في تعريف التوكل – وقيل فيه كلام طويل جميل – مما يناسب هذا المقام أنه هو «علم القلب بكفاية الرب للعبد »(۱)، وقيل فيه أيضاً: «حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله على وفي استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه »(۱).

والقرآن مليء بالحديث عن التوكل، وما أجمل قوله تعالى فيه مما يناسب الحديث عن الأمن النفسيّ:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَننَا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿ فَأَنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِن ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوَءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

⁽١) "هَذيب مدارج السالكين": ٣٣٦.

⁽٢) مقدمة كتاب "التوكل على الله" للحافظه ابن أبي الدنيا: ٣١.

عَظِيمٍ ﴿ إِنَّمَا ذَالِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ مُحَوِّفُ أُولِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

« حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عَلَيْتَلَا حين ألقي في الغار، وقالها محمد عَلَيْ حين قالوا ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِنَّ النَّامُ وَيَعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ "(1).

وما أجمل هذه القصة الآتية، وما أحسن تعلقها بما نحن فيه الآن، فعن عون بن عبدالله (۲) قال: « بينما رجل في بستان بمصر – في فتنة ابن الزبير – متكثاً، معه شيء ينكت به في الأرض إذ رفع رأسه فسنَح له (٤) صاحب مسْحاة (٥)، فقال له: يا هذا: مالي أراك مكتئباً حزيناً؟ قال: فكأنه ازدراه (١)، فقال: لا شيء.

⁽١) سورة آل عمران: آية (١٧٣–١٧٥).

 ⁽٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التفسير: باب قولــه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ وَلَــه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾.

 ⁽٣) عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهُذليّ، أبو عبدالله الكوفيّ. ثقة، عابد. مات قبل سنة ١٢٠
 رحمه الله تعالى انظر "التقريب": ٣٤.

⁽٤) أي عُرَضه له.

⁽٥) آلة زراعية.

⁽٦) أي احتقره.

فقال صاحب المستحاة: اللدنيا؟ فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر. والآخرة أُجَلُ صادق يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحق والباطل.

فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه، فقال: لما فيه المسلمون.

قال: فإن الله ﷺ سينجيك بشفقتك على المسلمين، وسَــلُ فمــن ذا الذي سأل الله فلم يعطه، ودعاه فلم يجبه، وتوكل عليه فلم يكفه، أو وثق به فلم يُنْجه.

قال: فعلقت الدعاء (١٠): اللهم سلمني وسلم مني، فتجلت (7) و لم تُصب منه أحداً (7).

⁽١) أي تعلق به واغتنمه.

⁽٢) أي الفتنة.

⁽٣) "التوكل على الله" لابن أبي الدنيا: (٦٧-٦٨)، وإسناد هذه الحكاية صحيح.

ثالثاً

ذكر الله تبارك وتعالى

وهو بحر متلاطم الأمواج لا ساحل له، والحديث عنه طويل متشعب، شيق رائع، لكنه مما يطول به الكتاب، وليس من مقصودي في هذه الرسالة، وحسبي أن أورد منه نتفاً تدل على المراد، وهو أن ذكر الله تبارك وتعالى يُورث العبد الأمن النفسي المطلوب، وتصله بالله تعالى على وجه يطمئن به القلب وتستريح إليه النفس.

وقد ورد في كتـــاب الله تعالى ما يدل على ذلك، فقد قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَيِنُ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۖ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَيِنُ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (١).

وقد بين النبي الأعظم ﷺ في طائفة من أحاديثه الشريفة المنيفة أثر الذكر في تحقيق الأمن النفسي وتثبيت القلوب به، فمن ذلك:

١- أنكار الصباح والمساء:

ففيهما جملة وافرة من المثبتات والمطمئنات والمؤمنات، فقد قال الني على الله الذي لا « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم شاكلت مرات فلا يضره شيء »(٢).

⁽١) سورة الرعد: آية (٢٨).

⁽٢) أحرجه الحاكم في "المستدرك": (١٩٥/١).

أرأيت إلى هذا الأمن العجيب الذي يورثه ترداد هذا القول الوجيز ثلاث مرات؟ والضامن ألا يصيبك مكروه في الأرض ولا في السماء هـو الله على فسبحان الله ما أعظم شأن المؤمن وما أحسن حاله إذا تقيد بالمنهج الإسلامي السديد، وما أبعد أعداءه عنه.

وذكر آخر مهم في هذا الباب، حيث يقول النبي الله « من قال لا إلى الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عَدْلَ عشر رقاب، وكتبت له مائه حسنة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى عسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه »(۱).

فهذا ذكر عظيم، وشاهده لموضوعنا قول النبي على: « وكانت له حوزاً من الشيطان يومه ذاك حتى يمسي » فكم للشيطان من وساوس في القلوب، وتكدير لحياة الإنسان، وإحزان له أيما إحزان، وكم يخوف من المستقبل، ويؤيس من النصر والفلاح والنجاح، وكم يعطل من عزم، ويَفِلُ من حزم، فتردادنا لكلمة الإخلاص العظيمة مائة مرة – أي قرابة ربع ساعة – بحر علينا من الفوائد العظيمة ما الله به عليم، وتورثنا من الأمن النفسي مسن وسوسة إبليس وحزبه الشيء الكثير، فلله كم يُغبن من غفل عن مثل هذا الأجر العظيم.

⁽١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات: باب فضل التهليل.

٢- أحاديث مخصوصة في باب النكر جالبة للأمن النفسي:

أخبر النبي ﷺ بأقوال يقولها العبد فتثبته أيما تثبيت، وتطمئن بها نفســه ويأمن، فمن ذلك:

أ- عن عبدالله بن مسعود فض قال: قال رسول الله على: « ما أصاب أحداً قط هم ولا حَزَن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزين، وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً.

قال: فقيل: يا رسول الله: ألا تتعلمها؟

فقال ﷺ: بلي، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها »(١).

ب- الصلاة على النبي ﷺ:

فهي عظيمة، نافعة في تحقيق الأمن النفسي وذلك بذهاب الهـــم كمـــا أخبر النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب ناه حيث قال:

« كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها النـــاس: اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بمـــا فيه، جاء الموت بما فيه.

⁽١) أخرجه الإمام أحمد في سنده: (٣٧١٣-٣٧١٢/٥)، وقال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: إسناد صحيح.

قال أبي بن كعب رها: قلت يا رسول الله: إبي أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟

قال: ما شئت.

قلت: الربع؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك.

قلت: النصف؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك.

قلت: والثلثين؟

قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير لك.

قلت: أجعل لك صلاتي كلها.

قال: إذا تُكفى هَمَّك، ويغفر لك ذنبُك $^{(1)}$.

جـ- الله، الله ربي ولا أشرك به شيئاً:

فعن أسماء بنت عُمَيس (٢) وَطَلُّنا قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

« ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب – أو في الكرب – الله، الله ربي ولا أشرك به شيئاً ${}^{(7)}$.

⁽١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه: كتاب صفة القيامة: حديث رقم (٢٤٥٧)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الإمام الذهبي.

 ⁽٢) أسماء بنت عُميس بن معبد الخنعمية، من المهاجرات الأُول. توفيت بعد علي فظه، وكان آخـــر زوج لها. أنظر ترجمتها في "سير أعلام النبلاء": ٢٨٢/٢" وما بعدها.

⁽٣) أخرجه أبو داود في سننه: باب في الاستغفار، وانظر "عون المعبود": (٣٨٦/٤).

د- نكر الخروج من المنزل:

وهو مهم في تحقيق الأمن النفسيّ لكل من خرج من مترله ويريـــد أن يُكفى الشرور والهموم، فعن أم سلمة نطخ أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال:

« بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك أن نزل أو نضل أو نظلم أو نُجهل أو يُجهل علينا ('').

وعن أنس بن مالك نعث قال: قال رسول الله ﷺ:

« من قال – يعني إذا خرج من بيته –: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان »^(۲) الله أكبر! ماذا يريد العبد لتحقيق أمنه النفسي أكثر من الكفاية والوقايــة إذا خرج من بيته، وأن يتنحى عنه الشيطان بكيده ووسوسته!

والله تبارك وتعالى ضمن للذاكرين أن يذكرهم، ومن ذكره الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقد قال حل من قائل (فَالدُكُرُونَ أَذُكُرُكُمْ ﴾ (٢).

⁽١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه أبواب الدعوات: باب ما حاء ما يقول إذا خرج مسن مترلــه، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجَ الحاكم نحوه في "المستدرك": (٧٠٠/١)، وقال صـــحيح على شرط الشيخين ووافقه الإمام الذهبيّ.

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣) سورة البقرة: آية (١٥٢).

وقال سبحانه في الحديث القدسي الجليل:

« ... فإن ذكري في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكري في مــــلأ ذكرته في ملأ خير منهم... »(١).

وعن أبي الدرداء يزك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

 $^{(1)}$ الله يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكري وتحركت بي شفتاه $^{(1)}$.

⁽١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم: باب قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ ﴾.

 ⁽۲) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (۱/۲۷۳) وقال: هذا حديث صحيح الإســناد و لم يخرجــاه،
 ووافقه الإمام الذهبي.

سابعآ

الدعساء

والأمة الإسلامية اليوم تعاني من الضعف وتكالسب الأعداء عليها، وانتقاصهم أرضها، وامتصاصهم خيراتها، وتحديدهم لها، وهي لا تملك سلاحاً مادياً فعالاً تواجه به أعداءها، ولا سلاح لها إلا سلاح الإيمان بالله والاعتماد عليه واستمداده النصر والتمكين والفرج، والنبي على ذكر في حديث شريف أن الدعاء سلاح للمؤمن، وعمدة له، ومفزع وملجاً، فقد قال علي خلي: قال النبي على: « الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض »(١).

والمطلوب أن يتعلق المؤمن بالدعاء في أحوال الرخاء حتى يستجيب الله لله في الشدائد، فقد قال ﷺ:

« من سره أن يُستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء $^{(7)}$.

⁽١) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (٦٩٩:١) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الإمام الذهبي، رحمهما الله تعالى.

⁽٢) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأقره الإمام الذهبي رحمهما الله تُعالى. انظـــر المصــــدر السابق: (٧٢٩:١).

ومثله الحديث المشهور:

 $^{(1)}$ تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة $^{(1)}$.

فالدعاء مهم ومطلوب، والاستكثار منه حسن، ودليل على صدق إيمان العبد، وحسن تعلقه بالله تعالى خَلِلهُ، وأحرى بمن هذا شأنه أن يثبته الله تعالى ويلقي في قلبه الطمأنينة والأمن حال الشدائد والكرب.

وهناك جملة من الأدعية القرآنية والأدعية النبوية إذا دعـــا هــــا العبــــد حققت له الأمن المنشود والطمأنينة المطلوبة، فمن ذلك:

١- لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين :

فعن سعد بن أبي وقاص رفت قال: قال رسول الله ﷺ:

« دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: "لا إلـــه إلا أنـــت سبحانك إني كنت من الظالمين" إنه لم يدع بها مسلم في شـــيء قـــط إلا استجاب الله له بها(٢) وفي زيادة:

فقال رجل: يا رسول الله ﷺ:

هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟

⁽١) حزء من حديث مشهور صحيح، وهو من كلام النبي ﷺ وتعليمه ابن عباس رش، وقال الأستاذ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل. انظر "مسند الإمام أحمد": (٢٨٦/٤-٢٨٨).

⁽٢) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح، ووافقه الإمام الذهبي، رحمهما الله تعالى. انظــر "المســتدرك": (١/٤٨١-٥٨٤).

فقال ﷺ:

ألا تسمع إلى قول الله عَلى:

﴿ وَخَلَّناهُ مِنَ ٱلْغَيِّ وَكَذَالِكَ تُعْمِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

٢ - وعن أبي موسى الأشعري رفظ أن النبي على كان إذا حاف قوماً
 قال: « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم »(٢).

٣- وعن عبدالله بن أبي أوفى رشي أن رسول الله و في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال:

« أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتمــوهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قــال: اللــهم مـــــــرل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم "(").

وفي رواية أخرى:

« اللهم مترل الكتاب، سريع الحساب، اهـزم الأحـزاب، اللـهم اهزمهم وزلزهم »(1).

⁽١) المصدر السابق.

⁽٢) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (٢/٢) وصححه، ووافقه الإمام الذهبي.

 ⁽٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد: باب كان النبي في إذا لم يقاتل أول النهار
 أخر القتال حتى تزول الشمس.

⁽٤) المصدر السابق.

أدعية قرآنية مجربة نافعة في تحقيق الأمن النفسي :

ومن المحربات في باب الأدعية القرآنية ما حاء في كتـــاب: "مصـــباح الظلام" لأبي عبدالله بن النعمان (١)؛ فقد ذكر:

أن العزيز بالله(٢) اعتقل الشريف بن طَبَاطبا^(٣) ووكل به، فبات تلك الليلة فرأى النبي ﷺ في منامه، فقال له:

وكل بك العزيز؟

قال: نعم يا رسول الله.

قال: فأين أنت عن الخمس التي لا تحجب عن الله يفرّج الله عنك بما؟ قال: فقلت: يا رسول الله، وما هي؟

قال: قوله تعالى:

﴿ وَبَشِرِ ٱلصَّبِرِينَ ﴿ اللَّذِينَ إِذَآ أَصَبَتَهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ وَإِنَّا اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاحِعُونَ ﴾ أُولَتِيكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَتُ مِن رَّبِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَتِيكَ هُمُ اللَّهُ مَدُونَ ﴾ ('').

⁽۱) شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان المرّاكشي الفاسي المالكي. توفي سنة ٦٨٣. وكتابه هذا مخطوط كما في «الأعلام»: (١١٨/٧).

 ⁽۲) نزار بن مَعَد بن إسماعيل، أبو منصور. الخليفة الفاطمي بمصر، وقد كان رافضياً خبيثاً. توفي سنة ٣٨٦.
 انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (١٦٧/١٥) وما بعدها.

⁽٣) الشريف عبدالله بن أحمد بن علي الحسين المدني ثم المصري، كان محتشماً، صالحاً للخلافة. توفي سنة ٣٤٨. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (٩٦/١٥ ٤-٩٩٧).

⁽٤) سورة البقرة: آية (١٥٥–١٥٧).

وقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَنَا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَيِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١).

وقوله تعالى:

﴿ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۚ أَنِي مَسِّنِي ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّحِينَ ﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَمِثْلَهُم مُعَهُمْ رَحْمَةً فَآسَتَجَبْنَا لَهُ وَمِثْلَهُم مُعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَبِدِينَ ﴾ (").

وقوله تعالى:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَنضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الطُّلُمِينَ الطُّلِمِينَ الطُّلِمِينَ الطُّلِمِينَ ﴿ الطُّلُمِينَ الطُّلِمِينَ ﴾ [الطُّلُمَينَ أَنْ الطُّلِمِينَ ﴾ [الطُّلُمَينَ أَنْ الطُّلِمِينَ ﴾ [الطُّلُمَينَ المُؤْمِنِينَ ﴾ [المُؤْمِنِينَ ﴾ [المُؤْمِنِينَ ﴾ [المُؤْمِنِينَ ﴾ [المُؤْمِنِينَ ﴾ [المُؤْمِنِينَ ﴾ [المُؤْمِنِينَ المُؤْمِنِينَ المُؤْمِنِينَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ الله

وقوله تعالى:

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوضُ أُمْرِفَ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ ﴿ فَوَقَنهُ ٱللَّهُ سَيِّفَاتِ مَا مَكُرُوا ۚ وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوّءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (1).

⁽١) سورة آل عمران: آية (١٧٣).

⁽٣) سورة الأنبياء: آية (٨٧-٨٨).

⁽٢) سورة الأنبياء: آية (٨٣–٨٤).

⁽٤) سورة غافر: آية (٤٤–٤٥).

قال: فانتبهتُ وقد حفظتُ ذلك، فلما أصبحت أطلق سبيلي، فعرفت بركة الخمس الآيات^(۱).

ومن هذا الباب كذلك ما قاله جعفر بن محمد الصادق(٢):

عجبت لمن بُلي بالضر كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ أَنِي مَسَّنِيَ ٱلطُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّحِينَ ﴾ (")، والله تعالى يقول: ﴿ فَآسْتَجَبْنَا لَهُ وَ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرَّ ﴾ (١٠).

وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَننَكَ إِنَّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّلِمِينَ ﴾ (°)، والله تعـــالى يقـــول: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ، وَخَيَّنَنهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَالِكَ ثُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (۱).

⁽١) "الأرج في الفرج": (٥٥-٤٦).

⁽٢) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، الإمام، أحد أعلام السلف. تــوفي سنة ١٤٨. انظر ترجمته في "نزهة الفضلاء": (٥٣٥-٥٣٨).

⁽٣) سورة الأنبياء، آية (٨٣).

⁽٤) سورة الأنبياء، آية (٨٤).

⁽٥) سورة الأنبياء، آية (٨٧).

⁽٦) سورة الأنبياء، آية (٨٨).

وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١)، والله تعالى يقول: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسَهُمْ شُوَّةً ﴾ (٢).

وعجبت لمن كُويد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول:

﴿ وَأَقْوَضُ أُمْرِعَ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٣)، والله سبحانه يقول: ﴿ فَوَقَنهُ ٱللَّهُ سَيِّعَاتِ مَا مَكَرُوا ۗ ﴾ (٤).

وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة حاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿ وَلَوْلَاۤ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۗ ﴾(٥) (٦).

⁽١) سورة أل عمران، أية (١٧٣).

⁽٢) سورة آل عمران، آية (١٧٤).

⁽٣) سورة غافر، آية (٤٤).

⁽٤) سورة غافر، آية (٤٥).

⁽٥) سورة الكهف، آية (٣٩).

⁽٦) "الدعاء المأثور وآدابه": (٧٥-٧٦).

قصص جميلة مروية عن السلف في أثر الـدعاء في جلـب الأمـن النفسي والتخلص من الشدائد:

-1 فقل الإمام ابن حجر $^{(1)}$ – رحمه الله تعالى - عن أبي بكر الرازي $^{(1)}$ قال:

كنت بأصبهان عند أبي نعيم (٢) أكتب الحديث، وهناك شيخ – يُقـــال له أبو بكر بن علي – عليه مدار الفُتيا، فسُعي به عند الســـلطان فســـجن، فرأيت النبي علي في المنام، وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتــر، فقال لى النبي عليه:

« قَل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكــرب الـــذي في صـــحيح البخاريّ حتى يفرج الله عنه ».

قال: فأصبحت فأخبرته، فدعا به فلم يكن إلا قليلاً حتى أُخرج(٤).

٢ - قال الربيع^(٥) حاجبُ المنصور:

دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد(١) يُلحد في سلطاني، قتلني الله

⁽١) هو الإمام الحافظ أحمد بن على بن محمد العسقلاني المصري. تفرد في زمانـــه بعلـــوم الحــــديث وفقهه، توفي سنة ٨٥٢. انظر ترجمته في "الضوء اللامع": (٣٦/٢).

 ⁽٢) هو الحافظ أحمد بن علي الرازي، ثم الاسفراييني، الزاهد الثقة، توفي قريباً من سنة ٤٣٠. انظر: "سير أعلام النبلاء": (٢٢/١٧).

 ⁽٣) هو الإمام أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، العلامة الثقة الزاهد. ولد سنة ٣٣٦، وتــوفي سنة ٤٣٠. انظر ترجمته في المصدر السابق: (٤٦٤–٤٦٤).

⁽٤) "فتح الباري": ١٧٣/٢٣.

 ⁽٥) الربيع بن يونس، الوزير، الحاجب الكبير، أبو الفضل الأموي، من موالي عثمان تلف حجب للمنصور، ثم صار وزيراً له، وكان من نبلاء الرحال وفضلائهم. توفي سنة ١٦٩. انظر ترجمت في "سير أعلام النبلاء": (٧/٣٥٠٧).

⁽٦) هو جعفر الصادق، وقد سبقت ترجمته قريباً.

إن لم أقتله، فأتيته فقلت: أجب أمير المؤمنين، فتطهر ولبس ثياباً... فأقبلت به فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله، فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقاه وقال: مرحباً بالنقي الساحة، البريء من الدَّعَل (١١) والخيانة، أخي وابن عمي، فأقعده معه على سريره، وأقبل عليه بوجهه وساله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاحتك، فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم، فتأمر لهم به، قال: أفعل، ثم قال يا جارية، ائتيني بالتُحْفة، فأتنه محدد منه غالية (٢)، فغلفه (١) بيده وانصرف.

فاتبعته فقلت: يا ابن رسول الله: أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدحول، فما هو؟

قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي، ولا تملكني وأنت رجائي.

ربِّ: كم من نعمة أنعمت لها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني لها قَلَّ لها عندها صبري، فيا من قلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، ويا ذا النعم التي لا تُحصى أبداً، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسى فيما خطرت.

⁽١) أي الفساد.

⁽٢) نوع من الطيب.

⁽٣) أي طيُّه، ولطَّخَه بالطيب. انظر "لسان العرب": (غ ل ف).

يا من لا تضره الذنوب، ولا تُنقصه المغفرة، اغفر لي مالا يضرك، وأعطني مالا يُنقصك، يا وهاب أسألك فرجاً قريباً، وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا وشكر العافية (١).

٣- وجاء في كتاب "مصباح الظلام" لأبي عبدالله بن النعمان:

بينا المهدي (٢) في بعض الليل نائماً إذ انتبه فزعاً واستحضر صاحب شرطته وأمره أن ينطلق إلى المُطْبق (٣) ويطلق العلوي، ففعل، فلما جاء ليركب قال له: بالذي فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك؟ قال: إني والله كنت الليلة نائماً فرأيت رسول الله ﷺ في منامي، وقال لي: أي بُنى: ظلموك؟

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: فقم فصل ركعتين وقل بعدها: يا سابق الفوت (أ)، ويا سامع الصوت، ويا كاسي العظام بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب.

فوالله لقد قمت وجعلت أكررها حتى دعوتني (٥).

⁽١) «نزهة الفضلاء»: ١/٣٧٠.

 ⁽۲) محمد بن المنصور أبي جعفر الخليفة العباسي. توفي سنة ١٦٩ بعد أن عاش ٤٣ سنة. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (٧/٠٠٠-٤٠٠).

⁽٣) أي السجن

⁽٥) "الأرَّج في الفرج": (٤٤-٥٤).

٤ - وروى أبو نعيم الأصبهاني عن الفضل بن الربيع حاجب هـــارون الرشيد^(۱)، قال:

دخلت على هارون الرشيد وبين يديه سيوف وأنواع مــن العـــذاب، فقال لي: علي ممذا الحجازي – يعني الشافعي –.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب هذا الرجل.

فأتيت الشافعي فقلت له: أجب أمير المؤمنين.

فقال: أصلي ركعتين؟

قلت: صلّ.

ثم حاء إلى دار الرشيد، فلما دحلنا الدهليز الأول حرك الشافعي شفتيه، فلما دحلنا الدهليز الثاني حرك الشافعي شفتيه، فلما وصلنا حضرة الرشيد قام إليه وأجلسه موضعه، وخاصة الرشيد ينظرون إلى ما أعد له من أنواع العذاب، ثم أذن له بالانصراف وقال لي: يا فضل: احمل بين يديه بَدُرة (٢) فحملت، فلما صرنا على الدهليز قلت: سألتك بالذي صيّر غضبه عليك رضي إلا ما عرّفتني ما قلت في وجه أمير المؤمنين حتى رضي؟

قال: قلت: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَىهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٢). اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بنُور قُدْسك، وبركة طهارتك، وبعظمة حلالك من كل عاهة وآفة وطارق الجن

⁽۱) الأمير الكبير، حجب لهارون الرشيد، ثم قام بخلافة الأمين، وعفا عنه المأمون بعد ذلك. توفي سنة ۲۰۸ وهو في عشر السبعين. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء": (۱۱،۹/۱۰).

⁽٢) البُدرة: وعاء الدراهم.

⁽٣) سورة آل عمران: آية (١٨).

والإنس إلا طارقاً يطرقني بخير يا أرحم الراحمين، اللهم بك ملاذي قبل أن ألوذ، وبك غياثي قبل أن أغوث، يا من ذلت له رقابُ الفراعنة، وخضعت له مقاليد الجبابرة.

اللهم ذكرك شعاري ودثاري، ونومي وقراري، أشــهد أن لا إلــه إلا أنت، اضرب عليَّ سرادقات حفظك، وقني برحمتك يا رحمن.

قال الفضل: فكتبتها وجعلتها في رداء قُبَائي^(١)، وكان الرشسيد كشير الغضب عليّ، وكلما همّ أن يغضب حركتها في وجهه فيرضي^(٢).

٥- لما سخط المأمون (٣)على الفضل بن الربيع دعا فقال:

يا من ليس فوقه رب يدعى، ويا من ليس فوقه إله يُخشى، ويسا مسن ليس فوقه ملك يبقى، ويا من ليس له حاجب يرشى، ويا من ليس له وزير يؤتى، ويا من ليس له بواب ينادى، ويا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا كرَماً وجوداً، وعلى كثرة الذنوب إلا عفواً وصفحاً، صلّ على محمد وعلى آل محمد، وفرِّج عني ما أمسي فيه وأصبح من هم وغم وخوف، فإنك على ما تشاء قدير، يا ذا الجلال والإكرام، يا فعال لما يُريد.

⁽١) نوع من الثياب.

⁽٢) "الأرَج في الفرج": (٣٩-٤٠).

 ⁽٣) المأمون: عبدالله بن هارون الرشيد، أبو العباس. كان من خلفاء بني العباس الأقوياء، وهو معدود في العلماء إلا أنه زلَّ فقال بخلق القرآن فأخذه الله سنة ٢١٨. انظر ترجمته في "نسير أعلام النــبلاء":
 ٢٧٢/١٠ وما بعدها).

قال: فرحمه الأمير وعفا عنه، ثم رأى النبي ﷺ فقال يا فضل: لو كان هذا الدعاء قبل التوراة والإنجيل والفرقان لذكره الله فيها(١).

7 - قصة ذي النون المصري (7) مع الخليفة المتوكل العباسي (7).

الهم ذو النون بتهمة باطلة فأمر الخليفة بقتله، ثم نحا، فساله أحد أصحابه:

كيف خلصت من المتوكل وقد أمر بقتلك؟

قال: لما أوصلني الغلام قلت في نفسي:

يا من ليس في البحار قطرات، ولا في ديلج الرياح ديلجات⁽¹⁾، ولا في الأرض حبيئات، ولا في القلوب حطرات إلا وهي عليك دليلات، ولسك شاهدات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تحيير ها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمد وعلى آل محمد، وأحذت قلبه عني، فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال: أتعبناك يا أبا الفيض⁽⁰⁾.

⁽١) "الدعاء المأثور وآدابه": ٢٣٩.

 ⁽٢) هو ثوبان بن إبراهيم، أبو الفينض، الزاهد، شيخ الديار المصرية. توفي سنة ٢٤٥. انظر "نزهـــة الفضلاء": (٢/٥٥٨-٧٥٧).

⁽٤) لم يتبين لي معنى هذه الكلمة، وكأن معناها: دورة الرياح أو مجراها، والله أعلم.

⁽٥) "نزهة الفضلاء": (٢/٢٥٨-٥٥٧).

•			
			-
•			
		•	

خامساً

معرفة شأن القضاء والقدر

القضاء والقدر بحر عميق، لا يمكن للإنسان التوغل فيه ولا التعمق؛ إذ أنه إن فعل ذلك فهو غارق لا محالة؛ وذلك أنه بعقله المحدود القاصر لا يستطيع معرفة مراد الله تعالى من تصرفاته في حلقه، ولا يمكن له إدراك حكمة الله العليم الحكيم في هذا، فهذا ليس من شأن البشر ولا هو في مقدروهم وليس داخلاً تحت طاقتهم، فيُخاف على المرء إن تعمق أن يغرق ويضل. والمتلمس لبعض حكم الله تعالى من قضائه وقدره لا يكاد ينقضي عجبه مما اطلع عليه، وهو شيء يسير قليل جداً من بحر الحكمة ومحيط العلم الإلهي، ولا عجب في هذا فالله تعالى قد قال: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ الله وَلِيلًا لَهُ الله المناذ أحد أركان الإيمان الستة:

« أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره »(۲) وذلك لأنه من جملة الإيمان بالغيب الذي غيب الله تعالى عنا جملته، وأطلعنا على شيء يسير من حكمته.

وهناك بعض القواعد في قضية القضاء والقدر مفيدة حداً في تحقيسق

⁽١) سورة الإسراء: آية (٨٥).

⁽٢) جزء من حديث صحيح مشهور - يُعرف بحديث حبريل عَلَيْتُلا - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: أول كتاب الإيمان.

الأمن النفسي، ولا يُمنع المرء من تدبرها وفهمها، لأن المنع إنما هو في التفكر في سبب القضاء والقدر وأصل العلة فيه مما لا يمكن الوصول إليه:

أ- مقادير الخلائق فُرغ منها:

وذلك مفيد حداً في سكون نفس الإنسان، وتحقيق طمأنينتها وأمنها، وذلك أن الإنسان إذا عرف أن كل ما وقع به وما سيقع مقدر كائن منذ زمن طويل سكنت لتلك المعرفة نفسه، واطمأن قلبه، لأنه يدرك ألا قدرة له على التغيير، وأن ما نزل به هو مراد الله تعالى الكوني القدري، فيحب إذا الاستجابة لمراد الله تعالى والسكون إليه والرضى به، ولا ينافي هذا التقرير العمل على رفع الضير، وإزالة الضرر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلا والله، لكن سياق الكلام هنا على السكون النفسي والرضا القلبي بما نزل بالإنسان من بلايا وأضرار أو ما يتوقع حدوثه من ذلك، والعمل على التغيير ورفع الضرر أمر معروف من قواعد الشريعة ولا جدال فيه.

وفي هذه القضية – أي أن مقادير الخلائق فُرغ منها – يقول النبي ﷺ:

« كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة (1).

وهذا الحديث في غاية النفاسة، إذ أن من علم أن كل ما وقع عليه أو ما يخافه وبحذره من المستقبل كائن مقدر قبل خلــق الســموات والأرض

⁽١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

بخمسين ألف سنة، من علم هذا اطمأنت نفسه، وسكن قلبه، وتحقق لــه الأمن النفسي المطلوب.

وقال تعالى:

﴿ مَاۤ أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلَا فِيَ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَنبِ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأُهَا ۚ ﴾(١).

ومعنى "في كتاب" أي في اللوح المحفوظ، ومعنى "نبرأها": نخلقهـــا، أي نخلق المصيبة.

وقال الإمام القرطبي في هذه الآية:

« قال الربيع بن صالح: لما أخذ سعيد بن جُبير (٢) تلك بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك ولما تذهب إليه. قال: فلا تبك فإنه كان يكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك ولما تذهب إليه. قال: فلا تبك فإنه كان في علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ مَاۤ أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ مَاۤ أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلّا فِي كِتَبِ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأُهَا ﴾ (٣).

فمن علم أن كل المصائب مخلوقة مقدرة، مثبتة في اللوح المحفوظ طابت نفسه، وسكن لذلك قلبه، وهدأ روعه.

ب- ما نزل بالعبد من بلاء لم يكن ليتجنبه، وما هُدد به من مخاوف
 وبلاء لا يصيبه منه إلا ما قدره الله عليه:

⁽١) سورة الحديد: آية (٢٢).

⁽٢) أي إلى الحجاج ليعاقبه، وقد قتله الحجاج الظالم سنة ٩٥، رحم الله سعيداً ورضي عنه.

⁽٣) "الجامع لأحكام القرآن": (٢٥٨/١٧).

وهذه قاعدة مهمة تريح العبد وتطمئنه وتسكب في قلبه مقددير من الأمن النفسي لا يعلمها إلا الله ﷺ ذلك لأنه يعلم حينئذ أنه موصول بحبل من الله تعالى لا يمكن لبشر كائناً من كان أن يقطعه ولا يضعفه أو ينال منه، قال تعالى:

﴿ مَاۤ أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَ ﴾ (١).

قال الإمام القرطبي في قوله تعالى "بإذن الله": « أي بإرادته وقضائه » ثم قال: « قال ابن عباس: هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه »(٢).

وقال ﷺ: « ... واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك ... »(").

قال الهيثميّ:

« معنى ذلك أنه قد فُرِغ مما أصابك أو أخطأك من خير أو شر، فما أصابك فإصابته لك محتومة لا يمكن أن يخطئك، وما أخطأتك فسلامتك منه محتومة فلا يمكن أن يصيبك؛ لأنها سهام صائبة وُجِهت من الأزل فلابد أن تقع مواقعها... »(1).

⁽١) سورة التغابن: آية (١١).

⁽٢) "الجامع لأحكام القرآن": (١٣٩/١٨).

⁽٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وقال الأستاذ أحمد شاكر: حديث صحيح.

⁽٤) "فتح المبين لشرح الأربعين": ١٧٦.

فإذا علم العبد كل ذلك هدأت نفسه، واطمأن قلبه، وحصل له من الأمن النفسي ما يستعصي على اليأس والإحباط والحزن أن يؤثر فيه.

جـ كل قضاء الله تعالى وقدره خير وإنما الشر بالنسبة للعبد:

وهذه قاعدة جليلة لابد من معرفتها، فقضاء الله تعالى كله حير، وقـــد يتصوره العبد شراً لكن هو خير بالميزان الإلهي الدقيق، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمِّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزعُ ٱلْمُلَّكَ مِمِّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءً بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) فصدّر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله، وأنه هو سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء ويترعه ممن يشاء لا غيره... فتناولت الآية ملكــه وحده وتصرفه وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده، وألها كلها خير، فسُلُّبه الملك عمن يشاء وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شـــراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل؛ فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل، والحكمة والمصلحة لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يُحمد عليه الرب ويُثنى عليه به كما يُحمد ويُثنى عليه بتزيهه عن الشر وأنه ليس إليه، كمـــا ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان يثني على ربه بذلك في دعــــاء الاستفتاح في قوله: « لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك

⁽١) سورة آل عمران: آية (٢٦).

أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت »، فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نُسب إليه فهو حير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أُضيف إليه لم يكن شراً... وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشرق في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، وخلقه وفعله، وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا تتره سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، كما تقدم، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشروضع الشيء في غير محله، فإذا وُضع في محله لم يكن شراً...)(١).

د- القضاء والقدر قائمان على حقيقتين عظيمتين:

وهما العَدْل الكامل والعلم الشامل، فمن كان هذا حالَه سُلّم إليه فيما يفعل عَلَّى: ﴿ لَا يُسْعَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْعَلُونَ ﴾ (٢)، وقد دلت الآيات الكثيرة الكريمة والأحاديث الشريفة على هذا، وهو أمرٌ يطول إيراده لكن الكثيرة الكريمة والأحاديث الشريفة على هذا، وهو أمرٌ يطول أيراده لكن يمكن التمثيل عليه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةً وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنّهُ أُجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾('').

⁽١) "شفاء العليل": (١٧٨–١٧٩).

⁽٢) سورة الأنبياء: آية (٢٣).

⁽٣) سورة النساء: آية (٤٠).

⁽٤) سورة الكهف: آية (٤٩).

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِطَلَّمِ لِلْقَبِيدِ ﴾ (٥)

هذا عن كمال العدل، أما العلم الشامل المحيط ففي قوله عَالله:

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصَّغَرَ مِن ذَالِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَنبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَنتِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَنتِ اللهِ فِي كِتَنْ مُنْبِينٍ ﴾ (١).

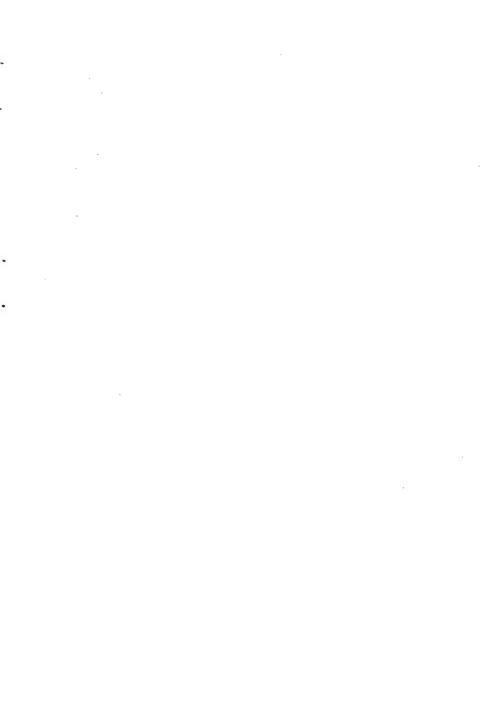
فإذا كان لله تعالى العلم الشامل على هذا النحو، والعدل الكامل على ما ذُكر من الآيات سابقاً سلمنا إليه تسليماً كاملاً فيما يصنع في كونه، وفي تصرفاته في خلقه على المقادير فنورد أنفسنا الهلاك بجهلنا وشقائنا، فمن فهم هذا كله اطمأن قلبه، وحصل له من الأمن النفسي ما الله تعالى به عليم.

وللقضاء والقدر وفهمهما قواعد أخرى غير هذه التي ذكرتها، لكن يخرج بها الكتاب عن موضوعه، فإني لم أورد هاهنا إلا ماله تعلىق بقضية الأمن النفسي، والله أعلم.

⁽١) سورة فصلت: آية (٤٦).

⁽٢) سورة يونس: آية (٦١).

⁽٣) سورة الأنعام: آية (٩٥).



سادسا

معرفة شأن الابتلاء

إن معرفة شأن الابتلاء وحقيقته وسببه والهدف منه يسكب في قلوب المؤمنين جرعات رائعة من الأمن النفسي والرضى القلبي؛ ذلك أن المؤمنين جميعهم معرضون للابتلاء، بل كلهم مبتلى بأمر ما، وذلك سنة من سنن الله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿ أُحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَا ٱلَّذِينَ مِن قَبِلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ مِن قَبِلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ

وقال حل من قائل: ﴿ وَنَبَلُوكُم بِٱلشَّرِ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٢). وقال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام (٢) في هذا المعنى:

« فحال الشدة والبلوى مقبلة بالعبد إلى الله على وحال العافية والنعماء صارفة للعبد عن الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَ ٱلْإِنسَدِنَ ٱلضُّرُّ دَعَانا

⁽١) سورة العنكبوت: آية (٢-٣).

⁽٢) سورة الأنبياء: آية (٣٥).

⁽٣) عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السُلميّ الدمشقيّ، عز الدين، الملقب بسلطان العلمــــاء. فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاحتهاد. ولد في دمشق سنة ٧٧٠. ونشأ ودرس بها. ثم حـــرت لـــه أمـــور ومواقف مع أمير بلاده لخيانته وتعاونه مع الفرنحة فخرج إلى مصر، وجرت له أمور كثيرة هناك. لـــه كتب كثيرة. توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ رحمه الله تعالى. انظر "الأعلام": (١٢/٤).

لِجَنْبِهِ ۚ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآبِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرِّ مَّسَّهُ وَ اَلَا لَمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرِّ مَّسَّهُ وَ ﴾ (١)(١)

إذاً لابد من الفتنة والابتلاء، وكل عبد مفتون إما بفتنة السراء والخير أو فتنة الضراء والسراء والخير أو فتنة الضراء والشر، قال الفيروز آباديّ^(٣):

« اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسار ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المنحة والمحنة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحـة مقتضية للشكر... » (3) وهذا ليظهر صدق إيمان العبد أو كذبه، وقوته أو ضعفه، وثباته أو تزعزعه.

وقال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام:

« والفقراء والضعفاء هم الأولياء وأتباع الأنبياء، ولهذه الفوائد الجليلة (٥٠) كان (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل)(١٦) فنسبوا إلى

⁽١) سورة يونس: آية (١٢).

⁽٢) "الفتن والبلايا": ٢١.

⁽٣) محمد بن يعقوب بن محمد، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي، من أثمـــة اللغـــة والأدب. ولد في كارزين من أعمال شيراز سنة ٧٢٩. وله عدة كتب. وتوفي في زبيد من الــــيمن سنة ٨١٧ رحمه الله تعالى. انظر "الأعلام": (٧/ ١٤ ١٧- ١٤).

⁽٤) هامش "المحن والبلايا": (١٣-١٤).

⁽٥) ذكر عدة فوائد للبلايا قبل ذلك.

⁽٦) قطعة من حديث صحيح أخرجه أحمد وغيره.

الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وتغربوا عسن أوطاهم، وكثر عناؤهم فاشتد بلاؤهم، وتظافر أعداؤهم، فغُلبوا في بعض المواطن، وقُتل منهم بأحد وبثر معونة وغيرهما من قُتل، وشُجّ وجه رسول الله على وكسرت رباعيته، وهُشمت البيضة على رأسه (٥)، وقُتلت أعزاؤه ومُثّل هم، فشَمت أعداؤه، واغتم أولياؤه.

⁽١) سورة الأنعام: آية (٣٤).

⁽٢) سورة البقرة: آية (٢١٤).

⁽٣) سورة البقرة: آية (١٥٥).

⁽٤) سورة آل عمران: آية (١٨٦).

⁽٥) أي المغفر وهو شبه الخوذة.

وابتلوا يسوم الخنسدق: ﴿ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا ﴾ (۱) ، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ اللَّابِّصَدُرُ وَبَلَغَتِ اللَّهُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ (۲) فكانوا في خوف دائم، وعُرْي لازم، وفقر مُدْقع حتى شدوا الحجارة في بطوهم من الجوع، ولم يشبع سيد الأولين والآخرين من خبز بُرٌ في يوم مرتين، فأوذي بأنواع الأذية حتى قذفوا أحب أهله إليه (۲) ، ثم ابتلي في آخر الأمر بمسيلمة وطلحة والعَنْسيّ (۱) ، ولقي هو وأصحابه من حيش العسرة (٥) ما لقوه، ومات ودرعه مرهونة عنسد يهوديّ على آصُع (١) من شعير.

ولم تزل الأنبياء والصالحون يُتعهدون بالبلاء الوقت بعد الوقت، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان صُلباً في دينه شُدد في بلائه، ولقد كان أحدهم يوضع المنشار على مَفْرقه فلا يصده ذلك عن دينه.

وقال ﷺ:

« مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يــزال المــؤمن يصيبه البلاء) $(^{(\vee)}$... $(^{(\vee)}$...

⁽١) سورة الأحزاب: آية (١١).

⁽٢) سورة الأحزاب: آية (١٠).

 ⁽٣) أي عائشة ~.

⁽٤) هم كذابون، أسلم أوسطهم وهلك باقيهم على الكفر والعياذ بالله.

⁽٥) أي حيش تبوك.

⁽٦) جمع صاع

⁽٧) قال محقق الرسالة: أخرجه البخاري (٩٦٤٤) في أول المرضى، ومسلم (٢٨٠٩) في صلفات المنافقين: باب مثل المؤمن كالزرع.

⁽٨) "الفتن والبلايا": (١٨-٢٠).

وقال الإمام الغزالي(١) رحمه الله تعالى:

« إذا رأيت الله على يجبس عنك الدنيا، ويكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم أنك عزيز عنده، وأنك عنده بمكان، وأنه يسلك بك طريق أوليائه وأصفيائه، وأنه يراك... أما تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَاصْفِيائه، وأنه يراك... أما تسمع على قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنْكَ بِأَعْيُنِنا ﴾ (٢) بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك مسن صلاتك وصلاحك، ويكثر من أحورك وثوابك، ويترلك منازل الأبسرار والأحيسار والأعزة عنده »(٣).

والبلايا والمحن قد يحملان الخير والمنَح، ولا يدري المرء أين يكمن لـــه الخير والسرور، والانتصار والفوز، قال الله تعالى:

﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيُّ وَتَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(1).

وقال سبحانه:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيًّْا وَهُوَ خَيْرٌ لِكُمْ ﴿ ().

⁽١) الشيخ الإمام، البحر، حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمسد الطوسسيّ الشافعيّ الغزاليّ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط. كان خاتمة أمره إقباله على طلسب الحسديث وبحالسة أهله. توفي سنة ٥٠٥ بطوس رحمه الله تعالى. انظر ترجمتسه في "سسير أعسلام النسبلاء": (٣٢٢/٩-٣٤٣).

⁽٢) سورة الطور: آية (٤٨).

⁽٣) "فيض القدير": (٢٤٥/١) نقلاً عن هامش "الفعن والبلايا": ٢١.

⁽٤) سورة النساء: آية (١٩).

⁽٥) سورة البقرة: آية (٢١٤).

وقال جل من قائل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَكُوا لَّكُم ۗ بَلَ هُوَ خَيْرٌ لَكُم ۗ لَكُم اللهِ عُصْبَةً مِنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَكُوا لَّكُم ۗ بَلَ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾ (١).

وقال الشاعر:

كـــم نعمـــةٍ مطـويــةٍ

لك بين أثنــاء المصائب

وقال آخر:

رُبُّ مبغـــوض كريــــه

فيــــه لله لطـــائف

وقال ثالث:

جُــــرٌ أمــــراً ترتضيـــــه

خفــــــى المحبـــوب منــــــهُ

وبددا المكسروه فيسه

⁽١) سورة النور: آية (١١).

وقال الحسن البصري^(١) رحمه الله تعالى:

« لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرُبَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك، ولَرُبَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك، ولَرُبَّ أمرٍ تحبه فيه عطَبُك »(٢).

ومن فوائد البلايا الكثيرة (٢) أنها تهذب المـــؤمن وتنفــــي عنــــه ذنوبـــه وأوضاره، وأنها تميز المؤمن من المنافق، قال النبي ﷺ:

« إن الله ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز؛ فذلك الذي نجاه الله من السيئات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك، فذلك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي قد افتتن »(1).

قال الأستاذ عبدالله علوان (٥) رحمه الله تعالى:

« إن الذين يتصدون للدعوة، ويسيرون في طريق الإصلاح والتغيير والهداية لابد أن يتعرّضوا للمحنة، ولابد أن يواجهوا بأساء الحياة وضرّاءها، ويخطئ من يظن أن طريق الدعوة دائماً محفوف بالورد والرياحين، ومفروش

 ⁽١) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، الأنصاري بالولاء. ثقة فاضل، فقيه، مشهور. توفي سنة ١١٠
 رحمه الله تعالى وقد قارب التسعين. انظر "التقريب": ١٦٠.

⁽٢) هامش "الفتن والبلايا": ١٦.

⁽٣) ذكر الإمام العز بن عبدالسلام لها سبع عشرة فائدة في رسالته: "الفتن والبلايا".

⁽٤) أخرجه الحاكم في "المستدرك": (٤/٤) وصححه، وأقره الإمام الذهبيّ.

 ⁽٥) عبدالله ناصح بن سعيد علوان. فقيه داعية سوري. ولد سنة ١٣٤٦هـــ بحلب. له عدة مصنفات وتوفي سنة ١٤٠٧ بجدة ودفن بمكة رحمه الله تعالى. انظر "إتمام الأعلام": ١٧٤.

بالزينات والسحاحيد، ومغتص بالمودّعين والمستقبلين، بل على الداعية أن يعلم أن الطريق قد تكون مفروشة بالصحور الكبيرة العاتية، والأشواك اليابسة المؤذية، والأشقياء العتاة المجرمين، فإن لم يكن معتاداً على الثبات والاحتمال، متروضاً على الصبر والمصابرة فإنه ينهزم في أول لحظات المحنة، ويتقهقر في أول لمحات البلاء، ويقعد مع القاعدين اليائسين المثبطين »(١).

وقال الأستاذ يوسف القرضاويّ حفظه الله تعالى:

« أما المؤمنون فهم أصبر الناس على الــبلاء، وأثبتــهم في الشـــدائد، وأرضاهم نفساً في المُلمَّات.

عرفوا قصر عمر الدنيا بالنسبة لعمر الخلود فلم يطمعوا أن تكون دنياهم حنة قبل الجنة... وعرفوا سنة الله في هذا النوع من الخليقة (الإنسان) الذي ابتلي بنعمة حرية الإرادة والاستخلاف في الأرض، فلم يطمعوا أن يكونوا ملائكة أولي أحنحة... وعرفوا من سنن أنبيائهم ورسلهم ألهم أشد الناس بلاءً في الحياة الدنيا، وأقلُّ الناس استمتاعاً بزخرفها، فلم يطمعوا أن يكونوا خيراً منهم، ولهم فيهم أسوة حسنة...

قال ابن القيم:

⁽١) «صفات الداعية النفسية»: ٤٧.

⁽٢) «الإيمان والحياة»: (١٩٤–١٩٥).

وقال الأستاذ سيد، رحمه الله تعالى:

« إنها سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنـة وليكونوا لها أهلاً: أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدهم، وأن يلقــوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر، وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة، حتى إذا ثبتوا على عقيدهم لم تزعزعهم شدة ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا تحــت مطارق المحنة والفتنة... استحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف، وتحررت من الذل، وتحررت من الحرص على الحياة أو على الدّعة والرخــاء فهي عندئذ أقرب ما تكون إلى عالم الجنة وأرفع ما تكون عن عالم الطــين: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَتِلِكُم مَّسَّتُهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلطَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (١) ... إن هذا السؤال من الرسسول والذين آمنوا معه، من الرسول الموصول بالله، والمؤمنون الذين آمنوا بالله، إن

إن نصر الله مدخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حسى النهاية، الذين يثبتون على البأساء والضراء، الذين يصمدون للزلزلة، الذين لا

كلمة الله ويجيء النصر من الله...

⁽١) سورة البقرة: آية (٢١٤).

يحنون رؤوسهم للعاصفة، الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله وعندما يشاء الله، وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها فهم يتطلعون فحسب إلى نصر الله لا إلى أي حل آخر، ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله، ولا نصر إلا من عند الله، هذا يدخل المؤمنون الجنة، مستحقين لها جديرين بها بعد الجهاد والامتحان والصبر والثبات والتجرد لله وحده...

هذا هو الطريق كما بينه الله – سبحانه – لكل جماعة مسلمة في كـــل جيل هذا هو الطريق: إيمان وجهاد، ومحنة وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجـــه إلى الله وحده ثم يجيء النصر »(١).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

« فمن مسه الضر في فتنة من الفتن، وفي ابتلاء من الابتلاءات، فليثبت ولا يتزعزع، وليستبق ثقته برحمة الله وعونه، وقدرته على كشف الضراء، وعلى العوض والجزاء »(٢).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

« ولابد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمسرات:
﴿ وَلَنَبْلُونَكُم بِشَى مِ مِّنَ ٱلْحُوفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأُمُوالِ وَٱلْأَنفُسِ وَالنَّمَرَاتِ وَبَشِر ٱلصَّابِرِينَ ﴾ (٢) لابد من هذا البلاء ليسؤدي المؤمنون

⁽١) «طريق الدعوة في ظلال القرآن»: (٣٥٦-٣٥٣).

⁽٢) المصدر السابق: ٢٣٠.

⁽٣) سورة البقرة: ١٥٥.

تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقددار ما أدوا في سبيلها مسن تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف - هنا - هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم، وكانوا أضن بها...

ولابد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافــــذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد، والقيم تزيل الغبش عن العيون والرانُ على القلوب، وأهم من هذا كله، أو القاعدة لهذا كله الالتجاء إلى الله وحده حين تمتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهـــام، وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده لا يجد سنداً إلا ســنده، وفي هـــذه اللحظة قد تنجلي الغشاوات، وتنفتح البصيرة وينجلي الأفق على مد البصر: لا شيء إلا الله، لا قوة إلا قوته، لا حول إلا حوله، لا إرادة إلا إرادتـــه، لا ملجأ إلا إليه... لذلك إن الله قد وضع الابـــتلاء لينكشــف المجاهــدون ويتميزوا، وتصبح أحبارهم معروفة، ولا يقع الالتباس في الصفوف، ولا يبقى محال لخفاء أمر المنافقين، ولا أمر الضعاف الجزعين... »(١).

⁽١) "طريق الدعوة في ظلال القرآن": (٢٢١-٢٢٢).

وقال أيضاً، رحمه الله تعالى:

« وما بالله – حاشا لله – أن يعذب المؤمنين بالابتلاء وأن يؤديهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام... وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً، وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله وثقة فيما عنده من الحسنيين: النصر أو الأجر »(1).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

« وإن العبد المؤمن يرجو ألا يتعرض لبلاء الله وامتحانه، ويتطلع إلى عافيته ورحمته، فإذا أصابه بلاء بعد هذا صبر له، وهو مدرك لما وراءه من حكمة، واستسلم لمشيئة الله واثقاً من حكمته متطلعاً إلى رحمته وعافيته بعد الابتلاء »(۲).

فإن فهم العبد البلاء على هذا الوجه استقام له عيشه، ورسخت قدمه، واطمأنت نفسه، وأمن أمناً عظيماً، وإلا تشوش وانقطع، والعياذ بالله.

⁽١) المصدر السابق: ٢٢٥.

⁽٢) المصدر السابق: ٢٢٣.

سابعاً

الصبر على المصائب والمكروهات

لابد للمؤمن في رحلته إلى الله تعالى من الصبر على كل ما يترل به مـــن المصائب، أو ما يتوقعه من المحاوف، والصبر ضياء - كما أخبر النبي ﷺ (١) - وقد قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ سُحُبِ ٱلصَّبِرِينَ ﴾ (٢).

وقال حل من قائل: ﴿ إِنَّمَا يُوَنِّي ٱلصَّبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴾ (٤).

وقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾(٥).

وقال علله:

⁽١) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة: باب الصلاة نور...

⁽٢) سورة آل عمران: آية (١٤٦).

⁽٣) سورة الزمر: آية (١٠).

⁽٤) سورة لقمان: آية (١٧).

⁽٥) سورة المعارج: آية (٥).

⁽٦) سورة البقرة: آية (١٥٥–١٥٧).

وقالُ النبي ﷺ:

 $_{\rm w}$ وما أعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر $_{\rm w}^{(1)}$.

وقد قال ﷺ مرغباً في الصبر حال نزول المصائب:

« عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد غير المؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »(٢).

وقال على يخلُّك:

« يا ابن آدم: لا تفرح بالغنى، ولا تقنط بالفقر، ولا تحزن بالبلاء، ولا تفرح بالرخاء؛ فإن الذهب يجرَّب بالنار، وإن العبد الصالح يجرَّب بالبلاء، وإنك لا تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تؤمِّل إلا بالصبر على ما تكره، وابذل جهدك لرعاية ما افتُرض عليك »(٣).

الصبر طريق النصر:

وليعلم العبد أن الصبر طريق إلى النصر كما وعد الله تعالى بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواً ۚ ﴾(١).

⁽١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: "كتاب الزكاة": باب الاستعفاف عند المسألة.

⁽٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزهد: باب أحاديث متفرقة.

⁽٣) "رسالة المسترشدين" للمحاسبي نقلاً عن هامش "المحن والبلايا": ١٣.

⁽٤) سورة الأنبياء: آية (٧٣).

وقال ﷺ: « واعلم أن النصر مع الصبر »(١).

وقال سبحانه مهوناً من كيد الكافرين إن الترم المؤمنون الصر والتقوى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيَّا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (٢).

وجعل الله الصبر أحد شروط النصر الخمسة:

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثَّبُتُوا وَٱذَّكُرُوا ٱللَّهَ صَغِيرًا لَّقَلَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَلَا تَنَزَعُوا صَغِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَلَا تَنَزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمُ وَٱصْبِرُوا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّبِرِينَ ﴾ (").

وقال سبحانه:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِي قَنتَلَ مَعَهُ رِيْتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا ۗ وَٱللَّهُ شُحِبُ ٱلصَّبِرِينَ ﴾ (1).

 ⁽١) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند، وقد صححه الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله تعالى.

⁽٢) سورة آل عمران: آية (١٢٠).

⁽٣) سورة الأنفال: آية (٥٥–٤٦).

⁽٤) سورة آل عمران: آية (١٤٦).

- صبراً جميــــلاً ما أقرب الفرجا

من راقب الله في الأمـــور نجـــا

من راقب الله لم ينــــــله أذى

وكـــان من الله حيث رجـــــــا

- تصبر أيها العبد اللبيب

لعلك بعــد صــبرك ما تخيب

وكل الحسادثات إذا تنساهت

يكسون وراءهسا فرج قريب

ثامناً

الاطلاع على المبشرات المثبتات

إن من أعظم ما يثبت المؤمن ويحفظ عليه أمنه النفسي هو اطلاعه على جملة من المبشرات والمثبتات المبثوثة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ولله ومما يساعده أيضاً في هذا الباب اطلاعه على واقعه اليوم والمقارنة بينه وبين أمسه القريب، فإن واقع أمة الإسلام اليوم يبين بوضوح أن الليلة ليست كالبارحة، ويفتح باب الأمل على مصراعيه أمام الأمة الإسلامية حتى لا يغزوها الياس ويحطمها الإحباط، وأبدأ بذكر الأدلة القرآنية، فمن ذلك:

١- قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا ٱللّه يَنصُرُكُم ﴾ (١) ونحسن نرى اليوم جماعات وهيئات ودولاً وأفراداً كثيرين ينصرون الله تعالى بما يستطيعون، ويقدمون أرواحهم وأوقاهم وكثيراً من أقواهم في سبيل هذه النصرة، ودائرة النصرة هذه في اتساع كل يوم ولله الحمد، وهي تكسب مواقع جديدة في جوانب السياسة والإعلام والاقتصاد والتعليم وغير ذلك، وسيأتي لهذا مزيد تفصيل وتدليل فيما بعد، فإذا أحلص هؤلاء الناصرون دينهم لله تعالى واجتهدوا فإن نصر الله تعالى يتترل عليهم ولو بعد حين.

٢- قول الله تعسالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَهُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱنَّبُتُواْ

⁽١) سورة محمد: آية (٧).

وَآذْكُرُوا آللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٥ وَأَطِيعُوا آللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَوْعُواْ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَحُكُم وَآصِبُرُواْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّبِرِينَ ﴾(١)، ونحن نرى اليوم جماعات كثيرة من المحاهدين تنطبق عليها هذه الأوصاف والأحوال المذكورة في هذه الآية الكريمة، فهؤلاء الجاهدون في فلسطين والشيشان وكشمير وجنوب الفلبين يضربون أروع المثل في الثبات وذكــر الله تعالى وطاعته والاستنان بسنة رسوله ﷺ والاجتماع على الحق والصبر، فقوم مثل هؤلاء حريٌّ أن يتترل عليهم النصر إن شاء الله تعالى، وإذا قارنا ما يحدث في هذه الأيام وما كان يجري زمان الذل في القرن الماضي لعرفنــــا قرب النصر إن شاء الله تعالى، ويكفى أن أقول إن أعداء الإسلام في العصر الحديث لم يواجهوا يوماً مجاهدين على هذه الشاكلة و لم يَسدُر مُجَلَّدهم أن المسلمين سيستيقظون على هذا النحو، ولقد كانت راية القتال في أكثر الجيوش العربية والإسلامية عُمِّية غير واضحة المعالم.

٣- قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصَرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ويشاهه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ عَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ وَيَشَاهِه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ عَامَنُوا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱللَّهُ مَا لَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللللللللللللللللللللللللللّ

⁽٢) سورة الأنفال: آية (٥٥-٤٦).

⁽١) سورة الروم: آية (٤٧).

⁽٢) سورة غافر: آية (١٥).

مؤمنين أطهاراً يستحقون أن يتترل عليهم النصر القريب الآتي إن شاء الله تعالى.

٤- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴿ وَإِلَا تَعْلَمُ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ مَثْمُ اللهُ اللهِ ال

٥- قسال الله تعسالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُواْ اللهِ وَاصْبِرُواْ اللهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِمِهِ وَٱلْعَنقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۚ هَا لَانَا اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ رَبُّكُمْ أَن قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِفْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (").

أما الأحاديث النبوية الشريفة المطهرة فهي كثيرة فمها:

١ عن أبي قبيل^(٦) قال: كنا عند عبدالله بن عمرو فسئل:
 أي المدينتين تُفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟

⁽١) سورة آل عمران: آية (١٣٩-١٤٠).

⁽٢) سورة الأعراف: آية (١٢٨-١٢٩).

⁽٣) حُيَي بن هانئ بن ناضر، أبو قَبيل المعافريّ المصريّ. توفي سنة ١٢٨ رحمسه الله تعـــالى. انظـــر ---"التقريب": ١٨٥.

قال: فدعا عبدالله بصندوق له حَلَق فأخرج منه كتاباً، فقال عبدالله: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ:

« أي المدينتين تُفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تُفتح أولاً، يعني القسطنطينية »⁽⁴⁾.

وقد تحقق ما قاله ﷺ وفتحت القسطنطينية – وهي اليوم اســــتانبول – ونتظر، إن شاء الله تعالى، فتح روما.

٢ - عن أبي هريرة رفي أن رسول الله ﷺ قال:

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشحر: يا مسلم يا عبدالله: هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله »(١).

وهذا والله تعالى أعلم قريب زمانه، حاضر أوانه؛ فإن أهلنا في فلسطين يرجعون إلى الله وينطبق على كثير منهم أنه مسلم عبدالله.

- أما الدراسة التاريخية التتبعية فتدل دلالة أوضح من الشمس في رائعة النهار أن الإسلام قادم بقوة، وأنا ذاكر بعض النقاط وساردها سرداً موجزاً، وكل ما سأذكره خاص بالقرون الأربعة الأخيرة فقط، والمقارنة التي سأذكرها إنما أعنى بها تلك القرون:

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد ورجاله ثقات، انظر "مجمع الزوائد": (٢٢٢/٦).

⁽١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الفنن: باب قتال المسلمين اليهود.

أ- المسلمون لم يكونوا يوماً أشد وعياً ولا أعظم إدراكاً لما يحدث من مؤامرات دولية ودسائس ومكائد منهم في زماهم هذا، والوعي والإدراك عنصر مهم طالما نجح أعداؤهم في التغلب عليهم بسبب ضعفه بل انعدامه عندهم، وكم ظهر عند المسلمين من رجال قادوا الأمة إلى أو خم العواقب بسبب جهلها وهناك أمثلة كثيرة وليس كمال أتاتورك وجمال عبدالناصر منا ببعيد، وكم ضحك علينا الشرق والغرب طويلاً لكن الحال اليوم تغير والأمة غير الأمة، ولله الحمد.

ب- السير الحثيث للتخلص من الربا والمعاملات غير الإسلامية في كثير من الدول الإسلامية، وإنشاء المؤسسات المالية الإسلامية التي تقارب المائتي مصرف وشركة إسلامية، وقبل ثلاثين سنة لم يكن هناك أي مؤسسة أو مصرف، وكانت الصحافة الناصرية البغيضة تستهزئ بالأستاذ السدكتور عيسى عبده (۱) رحمه الله لما أراد إنشاء مصارف على أساس إسلامي، وهذه النقلة في المعاملات الإسلامية تقربنا من تحقيق أمره تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ﴾ (۲)، وتبعدنا ءَامَنُوا أَتَّقُوا ٱللهَ وَذَرُوا مَا يَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ (۲)، وتبعدنا

⁽١) من كبار الاقتصاديين الإسلاميين. تخرج في حامعة مانشستر بإنكلترة. تبين له فساد النظام الربوي فعاش حياته كلها لبيان آثاره الخطيرة، داعياً لتأسيس بيوتات مالية ومصارف تقوم على النهج الإسلامي. شارك في إنشاء أقسام الاقتصاد الإسلامي في عدد من الحامعات العربية. له عدة مصنفات. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٠. انظر وإتمام الأعلام»: ١٩٥٠.

⁽٢) سورة البقرة: آية (٢٧٨).

من ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأَذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ مُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُ

جـ التزام كثير من أفراد الجيوش العربية والإسلامية بالإسلام ضباطاً وجنوداً، ولو تتبعنا حال هذه الجيوش العربية إلى أربعين سنة ماضية لوجدنا أن الأغلبية الساحقة من الضباط والجنود لم يكونوا يعرفون صلاة ولا صياماً، ولا يدركون معنى الجهاد في سبيل الله، ولم يقاتلوا على أسلس من الإسلام متين، وكانت الكبائر منتشرة فيهم، وهذا الذي نراه اليوم من أفصح دلائل النصر القادم.

د- التزام النساء بالإسلام، وقد حاول أعداء الإسلام مراراً أن يفسدوا المرأة المسلمة ونجحوا حتى أصبحت أكثر العواصم العربية والإسلامية خلواً من مظاهر الحجاب، وكان الأصل فيها تفلت النساء من الالتزام الشرعي ولم تتغير هذه الصورة إلا من ثلاثين سنة خلت فقط، واليوم الأصل في أكثر العواصم الإسلامية الحجاب ولله الحمد، وقد حكي لي أحد الأساتذة الدكاترة وهو شاعر مشهور أنه كان في بلد عربي كبير في الثمانينات الهجرية – الستينات الميلادية – يرجو أن يجد امرأة تقبل بوضع الإيشارب على رأسها ليتخذها زوجاً له فلا يجد إلا بصعوبة!!

ولم تكتف المرأة اليوم بالحجاب فقط بل نزلت إلى ميادين الجهاد السياسي والإعلامي والاقتصادي والاجتماعي، وأنشأت أجيالاً رائعة من

⁽٣) سورة البقرة: آية (٢٧٩)

الشباب والشابات، وفي هذه السنة نزلت النساء الفلسطينيات الرائعات ميادين العمليات الاستشهادية التي لا يطيقها إلا القليل من شجعان الرحال وأبطالهم، وهذا التحول الذي حرى على المجتمع النسائي لهو مسمار في نعش المحاولات التغريبية التي أحاطت بالمرأة المسلمة في القرنين الأخيريسن، والله الحمد.

هــ انتشار الثقافة الإسلامية الصحيحة الواعية، والكتب الكثيرة التي تتحدث عن عظمة الإسلام وروعته، وانتشار المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وكل ذلك لم يكن قد ابتدأ إلا منذ ستين سنة فقط على أكثر تقدير، وابتدأ بداية متواضعة على استحياء ثم انتشر انتشاراً واسعاً حتى صارت معارض الكتب لا تقتات إلا على بيع الكتب الإسلامية وما يتبعها.

و- انتشار الإعلام الإسلامي انتشاراً عجيباً، فاليوم للإعلام الإسلامي قنواته الفضائية، وبرامجه التي لا تحصى كثرة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وهناك البدائل الواضحة الجيدة عن كل الغثاء الذي كان له السيادة المطلقة قبل ثلاثين سنة بل عشرين، وهناك اليوم البديل الجيد للأطفال والنساء والرحال والشباب من المقروء والمسموع والمرثي مما لم يكن يحلم به أكثر الناس تفاؤلاً قبل ثلاثين سنة فقط، وانتشرت اليوم المؤسسات الإسلامية الإعلامية بالمئات في القارات: أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، وهذه نعمة حليلة.

ز- وأعظم الدلائل الواضحات التي لا تقبل جدلاً ولا نقاشـــاً هـــو بزوغ الصحوة الإسلامية الرائعة في العقد الأخير من القِرن الرابـــع عشـــر الهجري أو السبعينات الميلادية التي ألقمت أعداء الله تعالى حجراً وكانــت غُصَّةً في حلوقهم وشوكة في جنوهم، والتي أتاهم الله تعالى بها من حيث لم يحتسبوا، فأصبح للدين جنده من ملايين الشباب والشابات الأطهار ذوي الأيدي المتوضئة، و لم يكن عددهم يتجاوز الآلاف في العالم الإسلامي كلـــه زمان الظلام الدامس الذي خيم على القرون الأربعة الماضية، وصار الشباب والشابات ينادون بملء أفواههم بالإسلام، ويطالبون بالجهاد، ويتمسكون بحبل الله تعالى ويرعبون أعداء الإسلام، وهؤلاء هم عدة النصر القـــادم إن شاء الله تعالى وشمس الأمة وغدها الباسم وضياؤها المشـــرق، وإن زادوا إلى الحد الذي يقدره الله تعالى فليس من قوة في الأرض تستطيع مقاومتهم أو تجاهلهم، وإن غداً لناظره قريب، والعجيب أن أكثر هؤلاء في القطاعـــات التقنية والمهنية والفنية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية أي في القطاعــــات التي جهد أعداء الإسلام طويلاً في العمل على تغريبها وتخريبها.

ويخبرنا أحد إخواننا الذين يكبروننا في السن أنه صلى في الحرم المكي في للمجد رمضان سنة ١٣٨٢هـ وكان يصلي فيه أربعـة صفوف صغيرة والإمام يقرأ بلا مكبر للصوت فيُسمعهم!! وذلك بسبب قلتهم، ولقد كانت أكثر المساجد لا يحضرها إلا كبار السن، فكيف هو الحال اليوم

والحرم يصلي فيه وقت تمجد رمضان مئات الآلاف والمساجد في العالم الإسلامي غاصة بعشرات الملايين من الشباب الطاهر والشابات العفيفات.

ولقد كان كبار علماء العالم الإسلامي يشكون من تفرق الشباب عنهم في السبعينات والثمانيات الهجرية أي الخمسينات والستينات الميلادية فأصبحوا بعد ذلك – وقد التف الشباب حولهم – ملء السمع والبصر، فعلام يدل كل هذا؟

ح- الرغبة العارمة لدى ملايين الشباب والشابات في عمل شـــيء لرفع الذل عن الأمة ورفعها إلى سدة السيادة العالمية من جديد، وهذا الأمر أكثر ما يزعج أعداء الإسلام ويخفيهم، ويزعزع كل الأسس التي جهدوا في إرسائها والتي حاولوا بما أن يصرفوا الشباب عن العمل الجاد إلى الخلاف_ات العقيمة المطولة، أو الانزواء في المساجد والزوايا والتكايـــا، أو الانشـــغال بسفاسف الأمور ودناياها، أو الانغماس في الكبائر والموبقات، أما اليوم فقد يعملون - في مجملهم - ما يستطيعونه من أجل نصرة الإسلام وقضاياه، والمطلع على المظاهرات المليونية في عدد من بلاد العالم الإسلامي، والناظر إلى القنوات الفضائية والشبكات العنكبوتية - الإنترنت - وما يجري فيها من تفاعل عدد عظيم مع قضايا المسلمين ليدرك تماماً أن الليلة ليست كالبارحة، وأن الأمة غيرها بالأمس، وأن كثيراً من مظاهر التغيير الجادة قد بدأت تشق طريقها على أيدي هؤلاء الشباب الأطهار العظماء. ختاماً إخواني: إنه لا يفت في عضد أعداء الإسلام شيء أكثر من تفاؤلكم بالنصر ثم العمل على تحقيقه، ولا يفرحهم شيء قدر فرحهم إذا يئستم وأعرضتم وتوليتم، فالله الله، فهذه أيام من أيام الله تعالى شديدة، العامل فيها ليس كالعامل في أيام الرخاء، فأروا الله تعالى من أنفسكم نصرة وحماساً وعملاً صالحاً مبروراً عسى الله أن يمن علينا بأن يقر أعيننا بنصر الإسلام وأهله، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فهرس المصادر والمراجع

- ۱ «القرآن الكريم».
- ٢- «أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء» لواضع هذه الرسالة.
 نشر دار الأندلس الخضراء. الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٢هـ..
 - ۳- «إتمام الأعلام» د. نزار أباظة ومحمد رياض المالح.
 نشر دار صادر. بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩.
- ٤- «الأعلام»: خير الدين الزركلي.
 نشر دار العلم للملايين. بيروت. الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م.
- ٥- «تقريب التهذيب» الحافظ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي
 (ت ٨٥٢) تحقيق الأستاذ محمد عوامه.
 - نشر دار الرشيد. حلب. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ه...
- ٦- «الجامع لأحكام القرآن» الإمام القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١)
 نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.
- ٧- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١).
 نشر دار المعرفة. بيروت سنة ١٣٩٨م.

۸- «صحيح البخاري».

٩- «صحيح مسلم».

١٠- «العاطفة الإيمانية»: لواضع هذه الرسالة.

نشر دار الأندلس الخضراء جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ه...

۱۱- «العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين»: لواضع هذه الرسالة.
 نشر دار المحتمع. حدة. الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٣هـ.

۱۲- «فتـــح المبين لشرح الأربعين»: ابن حجــر الهيتميّ، أحمـــد بـــن حجر (ت ۹۷٤).

نشر دار ومكتبة الهلال. بيروت ١٣٩٨هـ.

۱۳ - «الفتن والبلايا والمحن والرزايا» سلطان العلماء العز بن عبدالسلام (ت ٦٦٠).

تحقيق الأستاذ إياد الطباع. نشر دار الفكر المعاصر. بيروت، ودار الفكر. دمشق. الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ..

١٤ «في ظلال القرآن» الأستاذ سيد قطب (ت ١٣٨٦).

نشر دار الشروق. بيروت. الطبعة العاشرة سنة ١٤٠١.

فهرس المواضيع

٥	مقدمـــــة
	الأمن النفسي وأهميته:
٩	 المراد بالأمن النفسي
٩	 أهمية الأمن النفسي
	مقومات الأمن النفسي:
۱۳	١ - الإيمان العميق
40	٢- التوكل على الله
۲۹	٣- ذكــر الله تعـــالى
٣0	٤ - الدع_اء
٤٩	٥- معرفة شأن القضاء والقدر
٥٧	٦- معرفة شأن الابتلاء
79	٧- الصبر على المصائب والمكروهات
٧٣	٨- الاطلاع على المبشرات المثبتات
۸۳	فهرست المصادر والمراجع
۸0	فهرست المواضيع